

هَوِيَّتْ
الأُمةُ المُسْلِمَةُ

تأليف
عماد عكر

المكتب الإسلامي

هَوِيَّةُ الأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ

محمود شاكر

المكتب الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
الطبعة الأولى
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

المكتبة الإسلامية

بيروت : ص.ب. : ١١/٣٧٧١ - رقيقاً : اسلاميا - تلكنس : ٤٠٥٠١ - هاتف : ٤٥٠٦٣٨

دمشق : ص.ب. : ١٣٠٧٩ - هاتف : ١١٦٣٧

عمّان : ص.ب. : ١٨٢٠٦٥ - هاتف : ٦٥٦٦٠٥ - فاكس : ٧٤٨٥٧٤

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

فإن لكل إنسان اليوم في كل مصرٍ ، ومن كل جنسٍ هويةً يُعرف بها ، يحملها أينما سار حتى في بلده ، تُثبت شخصيته ، يُسأل عنها إن وقع له حادث حتى لا يُتهم غيره ، ويُفتش عنها إذا تعرّض لمكروه كي يُعرف ، ويُبلّغ إلى أهله وموطنه . وإذا ضاعت هذه البطاقة من صاحبها فكأنما ضاع حقّه ، أو ظلّم غيره ، وربما كان هو بين الضائعين إن لم يكن يحمل ما يُثبت شخصيته .

وكل مسافرٍ لابدّ له من جواز سفرٍ يثبت هويته ، وانتماءه ، ويكون هذا الجواز مُعطىً له من دولته ، ومُعترفاً به عالمياً ، وإذا فُقد هذا الجواز فإن صاحبه بقي في مكانه لا يستطيع السفر

حتى يرجع إلى سفارة بلده في المكان الذي هو فيه ، وتتحقق من هويته ، وتُعطيه جواز سفر بدلاً عن ضائع . وهكذا فإن لكل إنسان هويةً تُثبت شخصيته في داخل بلده ، وفي خارجه ، بل إن أصحاب الطيور كثيراً ما يصبغون طيورهم بلونٍ معينٍ ليعرفونها من بين الطيور التي تختلط معها . وكذا يفعل الرعاة بأغنامهم وإبلهم كي تتميز عن أغنام وإبل غيرهم ، فلا يُساق بعضها مع قطعان الآخرين ، أو يختلف أصحابها بعضهم مع بعضٍ على فحلٍ أو ناقة .

ولكل أمة هوية تميزها عن غيرها من الأمم ، وليست هذه الهوية بالأجسام والألوان إذ تضمّ الأمة الواحدة مجموعاتٍ من البشر ذات أجسام متباينة في صفاتها ومختلفة في ألوانها ، كما أن الهوية ليست باللغة فقد تشمل الأمة الواحدة عدة أجناسٍ لكل جنسٍ لغته الخاصة . كما لم يكن التاريخ ليُوحد بين الناس فيجعل منهم أمةً واحدةً ، وكذلك لم تكن المهنة لتنشئ أمةً ، ولم يكن النظام ليؤلف أمةً ، ولكن العقيدة وحدها هي التي تُؤلف بين مجموعاتٍ من البشر فتجعل منهم أمةً واحدةً .

فالأمة مجموعة من البشر تحمل عقيدةً واحدةً ، وتبقى هذه الأمة على مدار التاريخ مادامت تعتقد تلك العقيدة ، ويتمسك أبنائها بها . ومن هذه العقيدة تنشأ العلامات المميزة للأمة ، ومنها اللغة ، والتاريخ ، والعادات ، والمفاهيم ، والأخلاق ، وهي التي تُعطي للأمة هويتها . وإذا فُقدت هذه الهوية ضاعت الأمة ، وذابت شخصيتها .

وتتصارع الأمم بعضها مع بعض ، وتتخذ كل أمة وسائلها كافةً لتحقيق الانتصار على خصمها ، وإذا كان السلاح أحد هذه الوسائل إلا أنه أكثرها خطراً ، وليس لأنه يُضيع الكثير من المال بالنفقات ولكن لأنه يُسبب تهديم المنشآت الحيوية من معامل وسدود ، ومشروعات وطرق ، ويُتلف المزروعات ، ويُهلك الحيوانات ، وفوق كل هذا يُسبب قتل الكثير من أبناء الأمة ، وهم عماد حياتها ، ووسيلة مجدها ، وأساس بناء حضارتها . وبعد تحقيق النصر ، والحصول على الفوز لا يلبث الخصم أن ينتفض ، وتدبّ فيه الحياة من جديد ، ويعود للدخول في الصراع مرةً ثانيةً مادامت الحياة تنبض فيه ، فالروح

المعنوية يمكن أن تنبعث تارةً أخرى ... وهكذا يعود القتال ، ويرجع الصراع بين الخصمين ، لهذا عمل المخططون وسائل كثيرة لإضعاف الروح المعنوية لدى الخصم كي يخفّفوا من شدة أوار القتال ، ويُقلّلوا ما استطاعوا من خسائر الحروب ، ومن ذلك محاولة إشغال الخصوم بعضهم ببعض بإيجاد الفرقة فيهم ، وإيقاع الخلاف بينهم ، ومنها نشر الفساد للالتفات إلى الشهوات ، وترك الاستعداد للمواجهة ، ومنها إذلال الخصم بالعمل على إفقاره ، وإبعاده عن العلم ، والضغط عليه كي يذلّ ، ومتى شعر بالذلّ صعب عليه الوقوف في وجه الخصم ، ومواجهته بل وحمل السلاح و.... وهذا أمر شائع بين المخلوقات حتى أن بعض الحشرات لتضرب فريستها في موضع يجعلها في حالة شللٍ لا تستطيع معها المقاومة ، وبعض تلك الحشرات تُحدّر فريستها بـلدغةٍ في مكانٍ محدّد . وكذا الحيوانات أيضاً فإن الذئب تغرز أنيابها في رقاب الخراف ، وتجبرها على السير معها إلى مكان بعيدٍ عن رقابة أصحاب الخراف حيث تفترسها هناك ، وتكون الخراف في حالةٍ من الإعياء بالخوف ،

والألم من الجراح ، وغرز الأنياب فتستسلم ولا تُبدي حراكاً ، ولا تبذل الذئاب كبير عناءٍ للحصول على وجبةٍ شهيةٍ لاتزال دافئة الدم والجسم ، كافيةٍ للشبع بل وتزيد على المطلوب . وهذا تصرف مخلوقات الله .

ويحصل المسلمون على مبتغاهم من الآخرين الذين يقفون أمامهم بالدعوة ، فالذين يقبلون الإسلام من الخصوم يصبحون جزءاً من الأمة الإسلامية ، وأفراداً من أبنائها ، وهم إلى جانبها في صراعها مع غيرها ، وبذا يتفكك خصم المسلمين ، ويضعف عن المقاومة ، ويدخل المسلمون بها يحملونه من هدايةٍ وخير للناس أجمعين ، إلى قلب الخصوم . ولم يدخل المسلمون معركةً مع أعدائهم إلا بعد أن يعرضوا عليهم حلاً من ثلاثة تجنباً لسفك الدماء ، وهذه الحلول هي :

١ - الدخول بالإسلام ، وعندها ينقلب الخصوم إلى إخوة بكل ما تحمل الكلمة من معنى المساواة التام بالحقوق والواجبات ، والجهاد و.....

٢- السماح للدعوة بالانطلاق دون وضع أي عوائق أمامها،
ودفع الجزية اعترافاً بإشراف المسلمين عليهم هذا فيما إذا كان
الخصوم - سابقاً - من أهل الكتاب - يهود أو نصارى أو ما
يلحق بهم من مجوس - أما إن كانوا من غير هذه الفئات الثلاث
فلابدّ لهم من أن يختاروا الإسلام أو واحدةً من تلك الفئات ، ولا
إكراه لأي فردٍ في أن يختار الدين الذين يريد من هذه الفئات
الأربع : الإسلام ، النصرانية ، اليهودية ، المجوسية ، ولا يسمح
لغير هذه الفئات بالعيش في ديار الإسلام فالسيف أو الفرار
حتى يصل المسلمون إلى ديارهم الجديدة تارةً أخرى ﴿ فإذا
انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم
واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصدٍ ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم ﴾ (١).

٣ - إن لم يقبل الخصم أحد الحلين السابقين فلابدّ من
استعمال السيف ، والجهاد في سبيل الله كي يؤدّي المسلمون

(١) سورة التوبة الآية : ٥ .

مهمتهم الملقاة على عاتقهم ، وهي الدعوة إلى الله ، ونشر الإسلام ، وهم مسؤولون عن ذلك أمام الله يوم الحساب . وقد أدّى المسلمون الأوائل الأمانة ، وأخلصوا الله ، فنصرهم على عدوّهم ، وانتشر الإسلام ، كما هو معلوم في ربوع الأرض .

وهكذا عمل المسلمون على تخفيف إراقة الدماء قدر جهدهم ، فهم مُكلّفون بمهمةٍ ولا بدّ من تأديتها ، فهناك أماكن لم يُشهر فيها سيف إذ قبل أهلها ما جاءهم من خيرٍ ، وهناك جبهات عمل فيها السيف مداه وذلك لتعنّت حكامها ، وحرصهم على مصالحهم ، فحالوا بين شعوبهم والخير ، فتارةً كانوا يفترون على أمتهم الكذب عن الإسلام ، وأخرى يُغالطون لترفض رعاياهم ما سيق إليها من خيري الدنيا والآخرة .

فكانت الأمم تُخفّف عن كاهلها عناء القتال ، والمواجهة ، والخسارة بإضعاف خصمها بما تملك من وسائل كي تُخدّره بالفرقة ، والسعي وراء الشهوة ، وبالذلّ جهلاً ، وفقراً ، ومرضاً .

توطئة

لا أعتقد أن أمةً وُجِّهت إليها السهام كما وُجِّهت إلى الأمة الإسلامية ، ولا أمةٌ حُقد عليها الأعداء كما حُقد على الأمة الإسلامية ، وما تلك السهام وتلك الأحقاد إلا غيظاً من الانتصارات الأولى التي حققها المسلمون على خصومهم ومنهم النصارى الذين تعنت حكامهم يومذاك فأبوا الحق ، ورفضوا الخير ، خوفاً من ذهاب دنياهم عنهم إذ كانوا يمرحون في حرمان الرعية ، ويرعون في أعراضها ، ويستبيحون أملاكها ، وحقوقها ، وقادوا شعوبهم إلى حروبٍ لم تنته بقرون ، وشحنت الكنيسة نفوس أتباعها بأحقادٍ وأحقادٍ ، ظهرت في تلك الحروب الصليبية التي شنها نصارى أوروبا على ديار المسلمين . وزادت تلك الأحقاد ونمت في النفوس الشريرة لصمود المسلمين أمام مستعمرهم صموداً لم يكن يخطر ببال الحاقدين مما ألهب غيظ الغزاة فهبوا بوحشيةٍ ينتقمون من المدافعين عن عقيدتهم ، الحماية

لأعراضهم ، الذائدين عن ديارهم .

وإذا كان اليهود قد لقوا اضطهاداً من غيرهم من الأمم والشعوب فما ذاك من باب الحقّ عليهم وإنما من باب الكراهية لهم للأعمال القذرة التي يقومون بها هم وفتياتهم ، ويقولون ليس علينا في الأمين من سبيل حيث يستحلّون دماء غيرهم ، ويعجنون بها فطيراً لهم ، يتناولونه يوم عيدهم ، كما يستحلّون أموال غيرهم فيأخذونه بالباطل ، وعن طريق بناتهم اللاتي يبتن في أحضان أصحاب الأموال لسحبها منهم بإرواء غرائزهم ، وتحقيق شهواتهم ، والنيل منهم ما يريدون ، وللمتاجرة بالخمور والأعراض فقد احتقرت الأمم والشعوب اليهود ، واضطهدتهم ، وأنزلت بهم الضربات حيث لايجرون إلا وراء المال فهو مُوهّون برنين الدنانير ، عاشقين جمعها ، ولاشوكة لهم ولا ذبّاحة ، جبناء أثناء النزال ، ضعفاء وقت القتال ، ولولا أن احتضنتهم بعض الدول الكبرى ، وساقتهم ليكونوا شوكة أمام المسلمين ، وقذى في أعينهم ، وشجى في حلوقهم لما كان لهم شأن في التاريخ أبداً . فاضطهاد اليهود نتيجة احتقارهم

وازدرائهم ، وكراهيتهم بسبب أعمالهم القذرة هو غير محاربة المسلمين نتيجة الحقد والغیظ علیهم بسبب قوتهم وصمودهم واستعلائهم بعقیدتهم ، واعتزازهم بمكانتهم وما هم علیه من الحق ، وما علیه غیرهم من الباطل ، وفساد الرأي ، وبطلان العقيدة .

المحاولة الأولى لتحطيم المسلمين :

شاءت إرادة الله أن يضعف المسلمون لتهاونهم بأمر دينهم ، وسعيهم وراء دنياهم ، ولعدم وجود من يقف أمامهم فيستعدوا للمنازلة ، وليأخذوا حذرهم من المفاجأة ، كما قضت حكمة الله أن تتقوى دول أوربا النصرانية ليتنبه المسلمون من غفلتهم ، وليصحوا من رقدتهم فيقف في وجه الأعداء من به خير ، ويسير معهم من لا خير فيه .

أخذ أعداء المسلمين بالأسباب ، وانطلقوا وراء دنياهم يُقاتلون المسلمين يدفعهم الحقد ، ويثيرهم الغیظ ويحرضهم سدنة الكنيسة ورجال المصالح والأهواء وتمكنوا بانطلاقتهم

هذه من السيطرة على هوامش ديار الإسلام ومنها أخذوا بالامتداد نحو القلب ، وبعد عدة قرون متواصلة من العمل ، والأخذ بالأسباب ، ومعاول الهدم من الداخل تضرب استطاعوا تحقيق مارسموه وما خططوا له . وحاولوا طيلة هذه المدة تحطيم المسلمين نفسياً كي ينهاروا وذلك عن طريق نشر المفساد ، والإذلال بالفقر ، والمرض ، والجهل ، والاضطهاد ، وإحقاق الأذى إضافة إلى عمل عبدة الصليبان في الداخل مع فرق الضلال ، وملل الكفر ، ومن نهج منهج المستعمرين وسار على خطتهم ، واتبع هواهم ، وقلدهم في أسلوب حياتهم .

وإذا كان المستعمرون النصارى قد نجحوا بكسب أعداد من المسلمين إليهم أعواناً لهم يتبعون شهواتهم ، وقد اختاروا طريقة الأعداء نهجاً لحياتهم ، وكذلك فقد كسبوا الفرق الضالة إلى جانبهم إلا أنهم قد فشلوا في تحطيم النفسية الإسلامية وإماتة روح الإيمان فيها . إذ بقيت الروح المعنوية لدى معظم المسلمين مرتفعة بل وينظرون نظرة استعلاء أمام الغزاة المستعمرين ، فالمسلمون هم المؤمنون فهم الأعلون ، وإن كانوا

مقهورين ، والدخلاء هم الأذنون ما داموا كافرين ، وإن كانوا هم الأقوى سلاحاً ، ولهم الغلبة في هذه المرحلة ، وقد لقي المستعمرون من المسلمين مقاومةً عنيفةً ، وكانت بين الطرفين معارك كادت في كثيرٍ من الأحيان أن تُلقي الدخلاء خارج ديار الإسلام لولا قوة السلاح ، ولولا أعوان المستعمرين ، وكان المستعمرون عندما ينتصرون يستعملون أقصى أنواع الوحشية في قمع المقاومة وضدّ الذين وقعوا في قبضتهم من المسلمين حقداً ومن أجل إرهاب السكان ، ومنعهم من القيام أو الاشتراك بأي حركة مقاومةٍ جديدةٍ ، ولإذلالهم غير أن ذلك لم يفدهم كثيراً إذ بقيت فكرة الاستعلاء بالإيمان قائمةً لدى المسلمين الملتزمين بل إن غير الملتزمين وحتى المنحرفين الذين أخذوا ينهجون نهج المستعمرين النصارى ظلّوا يعتزّون بانتمائهم للإسلام ، ويفخرون أنهم من أبنائه رغم أنهم قطعوا شوطاً كبيراً بالابتعاد عنه . وهذا ما كان يزعج المستعمرين الدخلاء ، ويتمنون لو تخلّى المنحرفون عن فخرهم بالانتماء إلى دينهم ، ثم التخلي عنه نهائياً ، وهذا ما يفسح المجال للقضاء على الإسلام ، غير أن

هذا لم يحدث أبداً إذ أن عقيدة الإسلام راسخة في نفوسهم تمام
الرسوخ .

لم يعلم المستعمرون النصارى أن استعلاء المسلمين بإيمانهم
هو جزء من عقيدتهم ، وإنما ظنوا أن هذا هو بسبب عدم
إخضاع العرب كافة ، الذين هم محط أنظار المسلمين جميعاً ،
وبسبب وجود خلافة تمثل المسلمين ، وتنطق باسمهم ، وتعمل
على جمعهم ، لذا وجه المستعمرون النصارى جل اهتمامهم نحو
دولة الخلافة ، ونحو بلاد العرب ، فضعفت الخلافة كثيراً ، وقد
نصبوا على قاعدتها ، وعلى بعض الأجزاء العربية رجالاً ليسوا
على عقيدة أهلها ، وإنما يتظاهرون أنهم عليها ، بل ويظهرون
التشدد في حملها والدعوة إليها ، وإن لم يُمارسوا ما هو مطلوب
منهم إلا لإخفاء واقعهم ، وتزلفاً لرعيته لتسير وراءهم خديعةً
لها ، وتهدياً بطيئاً يبدو واضحاً بعد زمنٍ ، في الوقت الذي
يستعد فيه المخططون للإجهاز على المسلمين — حسب
زعمهم — .

ضاق المستعمرون النصارى ببطء تنفيذ مخططهم ،
فالمسلمون يستعلون بإيماهم ، ومن تحلل منهم أو انحرف ،
وسار على نهج الفرنجة لا يزال يفخر بانتماؤه للإسلام وربما هناك
من التزم بالإسلام من أبنائه وأهله . والإرساليات التنصيرية رغم
إمكاناتها الضخمة ، وجهودها المضنية ، وإغراءاتها الكبيرة ،
وإفسادها المستمر لم تُقدّم عملاً يذكر في هذا المجال ، ومن
أفسدته من المسلمين بالجنس ، أو الخمر ، أو المال لا يختلف
أبداً عما انحرف ، ومال شهوة ، أو مصلحة ، وقد يثوب إلى
رشده بعد مدةٍ ويرجع إلى دينه ، أما تغيير العقيدة من الأساس
فهذا ما لم يقع ، وإن حدث فأمر شاذ لا يُنظر إليه ، لذا وجد
المستعمرون النصارى أنه من الضرورة القيام بعملٍ أكثر خطورةً
في ديار الإسلام ، وهو تغيير الهوية الإسلامية لإضاعة الشخصية
تماماً .

حرّك المستعمرون النصارى - وقد أصبحوا أصحاب الكلمة
في الأمصار الإسلامية - أعوانهم على اختلافهم ، فألغيت
الخلافة التي كانت رمزاً لاجتماع المسلمين رغم أنه قد بقيت

صورةً ، وأخذ الرعاة الأعوان الذين يُظهرون الإسلام بجرأة
وصراحةٍ لا يُبالون بأوامر الله يُهدّمون من الداخل بتصرفاتهم
ليفقد الإسلام مضمونه - حسب زعمهم - وخاصةً أنهم على
رأس أخطر الثغور ، وأشرفها مكانةً . ولم يكن بقية الرعاة بأولئك
المؤمنون حقاً ، بل ولا بالرجال الأقوياء الذين يُعتمد عليهم
وإنما ضعفاء على أحسن ظنٍ ، إن لم نقل إنهم من الذين مالوا
إلى نهج الفرنجة ، وساروا مقلّدين لهم . وأخذت الهوية
الإسلامية تفقد مكانتها تدريجياً ، كما أخذت الشخصية
الإسلامية تضيع .

الفصل الأول هوية الأمة المسلمة

قلنا إذا فقدت الهوية صُعب إثبات شخصية الفرد لذا يحرص المرء على الاحتفاظ بهويته ليبقى محتفظاً بشخصيته ، وكذا تضع الأمة إذا فقدت هويتها ، ومن هنا فقد حرص أعداء الإسلام على أن تفقد الأمة الإسلامية هويتها . فما هي هذه الهوية ؟ إن عناصر هوية الأمة هي عناصر بطاقة الفرد الشخصية ذاتها من اسم ولقب ، وتاريخ الميلاد ، والسكن ، والعلامات الفارقة (المميّزة) التي تميزها الصورة وتوضحها .

الاسم واللقب :

الأمة الإسلامية ، وقد يُطلق عليها أمة محمد ، ﷺ ، وينضوي تحت هذا الاسم كل من آمن بالله رباً ، وبمحمد بن عبد الله نبياً ورسولاً ، وقبل بالإسلام ديناً ، واهتدى بهديه ، وسار

وفق شرعه . ويلحق بهذا من أظهر الإيمان ، وشهد شهادة الحق ،
واعترف بتقصيره إن أهمل ، وأبدى النية على اتباع المنهج
الإسلامي ، وتطبيقه على نفسه ، والعمل بمقتضاه .

ويحرم من التبعية لهذه الأمة كل من أظهر أحد نواقض
الإيمان ، أو خان الأمة ، كأن يسير أو يتعاون مع أعدائها
ضدها، أو يدلهم على ثغراتها أو

وقد عمل المستعمرون النصارى عندما تمكّنوا من ديار
الإسلام على إلغاء كل ما يدلّ على إسلام المصر ، أو الإقليم ، أو
السكان وذلك بإزالة الانتماء أو ما يدلّ عليه . لقد كانت
الخلافة هي الرمز الإسلامي ، والاسم يدلّ على ذلك حيث أن
كلمة « الخلافة » هي مصطلح إسلامي ، وليس له ما يُقابله في
عقيدة أخرى . ونشأت مكان دولة الخلافة ، وعلى باقي أرض
ديار الإسلام دول تحمل اسم أقاليم ، وأخرى تحمل اسم الأسر
المؤسسة للدولة ، وصيغ لكل دولة نشيد خاص بها أطلق عليه
اسم « النشيد الوطني » إمعاناً في التجزئة ، وتأكيداً على التفرقة ،

وترسيخاً للكيانات المستقلة ، والتي لا تتجاوز مساحة بعضها رقعة صغيرة من الأرض ، لا تستطيع أن تقوم بنفسها ، ولا يمكنها أن تدافع عن حماها ، ولا أن تعيش بمواردها ، وهذا ما يجعلها مضطرة لأن تعيش في كنف غيرها ، وحماية سواها ، وغالباً ما تكون تبعاً لإحدى الدول النصرانية الكبرى .

وأوجد المستعمرون النصارى روابط بين أبناء الإقليم الواحد غير رابطة الإسلام ، حيث طرحوا فكرة الوطنية كبديل عن الإسلام وذلك في الأمصار التي توجد فيها أقليات ، وفئات غير إسلامية في سبيل مساواة غير المسلمين بالمسلمين ، وعدم اعتبار البلاد دياراً إسلاميةً ، وإمكانية تسلل غير المسلمين إلى الجيش . وحتى لا تكون هناك روابط مع الأمصار المجاورة تحت فكرة الرابطة الإسلامية . وفي المناطق التي وجدت فيها شعوب مسلمة متجاوزة طرحت فكرة العصبية القومية ، وتشدد أتباعها بحملها حتى لا يمكن أن يكون هناك لقاء بين المسلمين الذين يجاور بعضهم بعضاً ، بل أوجد المستعمرون النصارى مشكلات خلافٍ على الحدود والمناطق التي يُتآخم بعضها بعضاً كي يبقى

العداء مستحكماً ، ويستمر الصراع قائماً فلا يمكن أن تجتمع للمسلمين كلمة ، وهكذا تفككت الأواصر بين المسلمين نتيجة الوطنيات الضيقة ، والعصبيات القومية ، وحملت الدول التي نشأت أسماء عصبيات قومية مثل العربية ، والتركية ، والايرانية و... ثم مال الأعداء إلى داخل الإقليم الواحد فشتتوا أهله بين أتباع للأنظمة الوضعية المخالفة للإسلام ، فتوزع الناس بين أتباع لهذا النظام وأعوانٍ لذاك ، وبين هذا الحزب المؤيد لهذا المبدأ وذاك الحزب المناصر لذاك الشعار و.... وهكذا تاه كثير من أبناء الأمة ، وتحدّرت أعصابهم ، وصُمت آذانهم عن سماع الحق ، وعميت عيونهم عن رؤية الخط الذي يُراد للأمة أن تسير فيه .

تاريخ الولادة :

ولدت الأمة الإسلامية مع بعثة رسولها محمد بن عبدالله ، عليه الصلاة والسلام ، وظهرت مع تأسيس أول دولة لها في المدينة المنورة إثر وصول رسول الله ، ﷺ ، إليها بعد هجرته من مكة المكرمة إليها حيث غدا لها دار عُرفت بدار الإسلام، إذ بدأ

تطبيق شرع الله فيها ، وما عداها فكان دار كفر حيث لا يُطبق شرع الله ، وإنما يسير الناس حسب أهوائهم ، ووفق أعرافٍ تعارفوا عليها ، أو دوتوها كنظام لهم وضعوه حسب مصالحهم وتبعاً لمقتضى منافعهم التي ينظرون إليها في المستقبل . والأمة مجموعة من الناس يتبعون عقيدةً واحدةً على مدى التاريخ ، ومن هنا فالأمة قائمة من تاريخ نشوئها مع بعثة رسول الله ﷺ ، وباقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، قد يزيد عددها في مرحلة من التاريخ نتيجة نشاط الدعوة ، وقوة الأمة ، والجهاد كما حدث أيام الفتوحات وقد ينقص بسبب تسلط غيرها عليها فينحرف بعض أتباعها بالاغراء والسير وراء الشهوات . والأمة الإسلامية قائمة منذ أن خلق الله البشر ، وأرسل إليهم الأنبياء والرسل ، فكل من تبعهم وسار على نهجهم يعدّ من هذه الأمة التي تدعو إلى عبادة الله وحده ، وتُنير مشعل الحق ليسير على نوره ويهتدي به أهل التوحيد كلهم . ويُعَدّد الله سبحانه وتعالى بعض الأنبياء والرسل من لدن نوح عليه السلام حتى عيسى ابن مريم ثم يُقرّر إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا
لِّلْمُنْقِيَةِ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ
السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ
مُنِكِرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا
بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي
أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾
قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا
أَحِبُّنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾
وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾
فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَيْدَ إِبْرَاهِيمَ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتَّبِعُوهُ

عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿١١﴾ قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ
 هَذَا يَا إِبْرَاهِيمَ ﴿١٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
 هَذَا فَاسْتَأْذِنُوا إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى
 رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾ قَالَ
 أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا
 يَضُرُّكُمْ ﴿١٦﴾ أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِ الْهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ ﴿١٨﴾ فَلَنَبَيِّنَا كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩﴾
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٢٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ
 وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٢٢﴾
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
 الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا
 عَابِدِينَ ﴿٢٣﴾ وَلُوطًا إِذْ نَبَّاهُ عَنْ مَوْلَاةِهُ فَاتَّبَعَهَا

الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ
 فَسَقِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ
 ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ
 وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ
 الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ
 نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
 فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا
 مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾
 وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِنُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ
 فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾
 وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا
 دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ
 نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ
وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا، وَذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ
﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ
فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي
كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَيْنَاهُ
مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا
إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ
﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ
لَهُ، وَزَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا، وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾
وَالَّتِي أَحْصَيْتَ فَرْجَهَا، فَتَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ
أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

غير أن أعداء الإسلام عندما تمكّنوا من بسط سيطرتهم على
الأمصار الإسلامية قد عملوا على تغيير هذا المفهوم حيث قام
أعداء المستعمرين من أصحاب العصبية القومية يرفعون راية
المراحل الجاهلية التي سبقت الإسلام في تاريخ أقوامهم ،
ويعدّونها رموزاً لهم ، ويفخرون بآثار تلك المرحلة من أبنية
ومعابد ، وقبور (أهرامات) . كما وضعوا أياماً أسموها أعياداً ،
وأياماً وطنيةً بمناسبة يوم قيام الدولة دون النظر إلى أساس
الارتباط بالماضي الإسلامي ، والعهد الزاهر المنصرم ، وهذا نوع
من الجاهليات السائدة .

الموطن :

تُعَدّ ديار الإسلام (الأرض التي يُطبّق فيها شرع الله) وطناً
لأي مسلم أينما كان يعيش ، وفي أي بقعةٍ كان ينزل ، يدخل
إليها دون إذن دخول (تأشيرة) ، ويتنقل فيها كفردٍ من قاطنيها
إذ يُعدّ من أبنائها ويحقّ له التملك ، والمتاجرة ، ولا يُرحّل عنها
إلا إذا ظهر منه ما يستدعي ذلك . هكذا كان خلال مرحلة
التاريخ الإسلامي ، وكثيراً ما نقرأ عن الرحالة المسلمين

وانتقلهم من مصرٍ إلى آخر دون إذن دخول ، وأنهم كانوا يُتاجرون ، بل ويتزوّجون ، وإذا طالت مدة إقامتهم قد يُعهد إلى الواحد منهم بمنصبٍ يتسلّمه كالقضاء وغيره إن كان من أهله ، وممن يُنظر إليه نظرة العالم ، ويُشهد له بالمعرفة ، حتى ذاع صيته ، فجنسية المسلم هي عقيدته . ولا شك أن الحذر ، وأخذ الحيلة ، والانتباه إلى التجار القادمين من المسلمين من خارج ديار الإسلام أمر مطلوب دون أن يخلّ ذلك باعتبار ديار الإسلام موطناً لكل مسلم أينما كان يُقيم .

ولما تمكّن المستعمرون النصارى من السيطرة على الأمصار الإسلامية ، وبسطوا نفوذهم عليها تماماً وشدّدوا قبضتهم عليها ، وأصبحوا أصحاب الكلمة فيها ، والسادة المطاعين ، وضعوا الحدود بين هذه الكيانات الجديدة التي أسموها دولاً ، وأقاموا الحواجز ، ومنعوا دخول أي فردٍ مسلمٍ إلا إذا كانوا يوافقون عليه ، ووضعوا هذه التعليمات لمن خلفهم بالسلطة ، أو من نصبوه مكانهم ، وغدا الكيان الواحد خاصاً بقاطنيه لا يحق لغيرهم من المسلمين بالإقامة فيه أو السكن إلا لمدةٍ محدودةٍ ،

كما لا يحق لهم التملك ، بل الدخول . وهذا ما زاد من فرقة المسلمين ، ونظرة بعضهم إلى بعض نظرة ازدراء وخاصة إذا كان سكان إقليم أكثر دخلاً من سكان بقية الأقاليم ، أو أكثر تقدماً بالعلوم التجريبية .

الفصلُ الثاني العلاماتُ المميّزة

هناك علامات خاصة يحكم بها الإنسان على أي فردٍ أنه من الأمة المسلمة إن لم يكن من العرب ، وأهم هذه العلامات المميّزة هي :

أ - اللغة العربية : بُعث رسول الله ، ﷺ ، من بين العرب ، هكذا اختاره الله ، فكان لابدّ من أن يكون الكتاب الذي سينزل عليه ، وسيحمله إلى البشرية جمعاء ، بصفته خاتم الرسل ، وُبُعث للناس كافةً لابدّ أن يكون هذا الكتاب بلسانه ، لسان قومه العرب الذي سيواجههم به ، وهم أول من يُواجه به ، وأول من يُدعون إلى الأخذ به وتطبيقه .

وكتاب الله ، القرآن الكريم ، كتاب توجيهٍ وهدايةٍ ، ومنهجٍ للحياة فلا بدّ للمسلمين من الأخذ به ، والعمل على تطبيقه ،

والسير على منهجه ، وهذا لا يتأتى إلا بفهمه ، ولا يكون فهمه صحيحاً إلا بمعرفة اللغة العربية ، ودراستها ، والتعمق بها .

والقرآن الكريم كتاب عبادة لاتصح الصلاة إلا بقراءته وباللغة التي نزل بها ، كما أن تلاوته عبادة يتعبد بها المسلم تقرباً إلى الله ، وهذا لا يتأتى إلا بمعرفة اللغة العربية ، ودراستها ، وتعلمها .

ولما كان رسول الله ، ﷺ ، من بين العرب لذا فحديثه باللغة العربية ، بل لا يعرف سواها ، والحديث النبوي توضيح بعض ما ورد في كتاب الله ، وتفسير له . ورسول الله ، ﷺ ، قدوة لنا في أعماله وسلوكه ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾^(١) . وطاعته من طاعة الله ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومن تولّى فما أرسلناك عليهم حفيظاً ﴾^(٢) و ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم

(١) سورة الاحزاب الآية ٢١ .

(٢) سورة النساء الآية ٨٠ .

الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم﴿^(١)﴾. والحديث النبوي هو المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله، لذا لا بدّ من معرفته ودراسته، ولا يتأتى ذلك إلا بتعلّم العربية ودراستها.

ولابدّ من أن يكون المسلم داعيةً، يُبلّغ ما يعرف (بلّغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(٢) ويتحدّث بما يُجيد، وهو مسؤول عن ذلك أمام الله يوم القيامة، ولا يستطيع المسلم أن يؤدّي هذه الأمانة إلا إذا كان يعرف اللغة العربية.

قد يقول قائل : إن هذا من واجب الخاصة، واجب الدعاة وأهل العلم، والجواب على ذلك أمر يسير، إنه لا يوجد في الإسلام خاصة وعامة، ولا يوجد رجال دين يختصون بالدعوة، وغيرهم لا مسؤولية عليهم، ولا علاقة له بذلك، فالمسلمون جميعاً مسؤولون وإن كان كلّ مسؤولاً حسب إمكاناته وعلمه.

(١) سورة آل عمران الآية ٣١.

(٢) أخرجه البخاري ٦ / ٣٦١ في الأنبياء، ورواه عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما.

ولا يصح أن نقف حائلاً دون علم الإنسان للشيعة لعدم معرفته العربية . غير أن العصبية القومية قد أعمت عيون كثيرين عن هذه الحقائق ، وأصمت آذانهم عن سماع كلمة الحق . وربما حلت نكبات قاسية بشعوبٍ فصرفت أهلها نحو العصبية كعاطفةٍ في بداية الأمر ، ثم تطوّرت إلى عصبيةٍ جاهليةٍ نتنةٍ حتى سقط فيها بعض من يتوقع المرء منهم أن يكونوا أكثر عقلاً ، وأكثر وعياً لمعرفتهم اللغة العربية وأصول الدين غير أن الهوى قد جرفهم فأنحرفوا ، وانقلبت المفاهيم عندهم رأساً على عقبٍ ، وأصبح التعريب عندهم جريمةً ، وعملوا على إحياء ما اندثر من آثار العصبية ، وأصروا على أهلهم بالحديث بلغتهم القومية فقط .

وفي صدر الإسلام انتشرت اللغة العربية مع الفتوحات حتى عمّت ديار الإسلام كلها ، وغدت البلاد المفتوحة لا تعرف سوى العربية لغةً ، وإن بقيت جذور للغات السابقة دون أن تكون لها أبجديةٌ ويتناقلها بعض السكان باللسان فقط ، ودون المسلمون المعارف والعلوم باللغة العربية ، ولذلك أطلق

الفرنجة على الخلافة اسم الدولة العربية الإسلامية كي يتجنبوا لفظ الخلافة ، وكثيراً ما كانوا يحذفون كلمة الإسلامية ليبقى لفظ الدولة العربية في سبيل إثارة غير العرب على العرب . وأحياناً أخرى يطلقون « الامبراطورية العربية الإسلامية » لتعني سيطرة العرب على بقية الشعوب الإسلامية لإثارتهم عليهم ، حيث تعني كلمة « الامبراطورية » باصطلاحهم سيطرة شعب على شعوبٍ ، ومما يؤسف أن بعض النقلة العرب الذين يُسمّون أنفسهم كُتّاباً قد حاكوا الفرنجة باستعمال هذا الاصطلاح .

كانت الخلافة عربيةً إسلاميةً ، عربيةً بلسانها لا بقومها ، إسلاميةً في شرعها ، رغم وجود دويلاتٍ منفصلةٍ وإماراتٍ مستقلةٍ تحمل أسماء مؤسسيها لا أسماء شعوبها لتعطي دلالةً على أن الدويلة أو الإمارة قامت بنزعةٍ شخصيةٍ لا بتأييدٍ عسبيٍّ . ودوّنت العلوم باللغة العربية بغضّ النظر عن الإمارة التي نشأ فيها العالم ، أو الإقليم الذي ينتمي إليه ، ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال :

البخاري الذي نشأ في بلاد ما وراء النهر في الإقليم
المعروف اليوم باسم أوزبكستان .

وأبو داود الذي نشأ في سجستان في الإقليم المعروف اليوم
باسم أفغانستان .

والترمذي في بلاد ما وراء النهر ، في الإقليم المعروف اليوم
باسم أوزبكستان ، وترمز مدينة عامرة على نهر جيحون على
الحدود بين أفغانستان وأوزبكستان .

والنسائي في بلاد التركمان في الإقليم المعروف اليوم
تركمانستان .

وأبو حنيفة أحد أئمة الفقه ، وأصله من فارس التي هي
ضمن الإقليم المسمى اليوم إيران .

والخوارزمي الذي نشأ في بلاد ما وراء النهر ، في الإقليم
المعروف اليوم أوزبكستان ، ومدينة خيوه عامرة إلى هذه الأيام ،
كما أن بحيرة خوارزم مشهورة ، وهي المسماة اليوم « بحر آرال » .

والبيروني الذي نشأ في إقليم السند في البلاد المعروفة اليوم

باسم باكستان ، وبلدة بيرون مدينة عامرة إلى اليوم .

ولنتقل إلى الجناح الغربي من ديار الإسلام ، ولسنا بحاجة إلى أن نتحدث عن علماء الأندلس إذ معروف أن تلك الديار كانت عربية اللسان بشكل تام . ولنعرج قليلاً إلى صقلية التي دخلها المسلمون ، فسادت فيها اللغة العربية ، وعندما سقطت بيد النورمان بقيت العربية لغة العلم ، كما هي لغة الديوان أو الرسمية ، كما تسمى اليوم . ولنذكر أن الشريف الإدريسي قد قدّم لحاكم صقلية النورماندي كتابه المعروف بـ « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » وهو باللغة العربية ، كما قدم له خريطته المشهورة للعالم ، وهي باللغة العربية أيضاً ، ولنتقل من صقلية إلى جزيرة مالطة التي لاتزال لغتها عربية إلى الآن ، ولكن طمست فغابت عن الناس لأنها كُتبت بالحرف اللاتيني حسب اللهجة المحلية القريبة من اللهجة المغربية .

ولنترك الكتابة ولننظر إلى الطباعة التي انتشرت في المناطق التي سادت فيها اللغة العربية ، ولنأخذ مثلاً من البقاع المجهولة لدى الناس اليوم ، فمدينة قازان قاعدة إقليم تتاريا

في المناطق التي يسيطر عليها الروس في حوض نهر الفولغا كانت فيها مطبعة مختصة بطبع كتاب الله ، وبقيت هذه المطبعة حتى أحرقها الشيوعيون حتى دخلوا المدينة ٢٨ شعبان ١٣٣٨ هـ (١٧ أيار ١٩٢٠ م). ومطبعة مدينة أورنبورغ قاعدة الإقليم الذي يحمل اسمها. وإن أعطاها الروس اسم (شكالوف) لفصل حاضرها عن ماضيها.

وهناك الجامعات مثل جامعة قازان التي كانت تضم سبعة آلاف طالب يوم دخل إليها الشيوعيون وجامعة مدينة «مونبيليه» في جنوبي فرنسا الإقليم الذي بقي فيه المسلمون تسعين عاماً ، وقد درس في هذه الجامعة كبير بطارقة الفاتيكان (البابا) سلفستر الثاني .

هذه الحضارة الإسلامية العربية قد أُصيّبت بعدة نكبات .

١ - التجزئة : لما ضعفت دولة الخلافة أيام الدولة العباسية ، وأخذت تقوم بعض الدويلات ، وتنفصل بعض الإمارات ، أخذ بعض رؤسائها وخاصة في شرقي أراضي الخلافة يخيّنون

اللغات القديمة لشعوبهم ليكون مبرراً لقيامهم — حسب زعمهم — وليثيروا لدى الرعية حميةً جاهليةً ، تميزهم عن بقية أهالي ديار الإسلام ، ليقوا منفصلين عنهم ، وليُدافعوا عن كيانهم وهكذا أخذت العربية تنحسر عن المناطق التي دخلتها مرفوعة الرأس تحت شعار الإسلام ، وخرجت ذليلةً مطأطئةً تحت راية العصية . ولم تكن لتلك اللغات حروف تكتب بها لذا فقد استخدمت الحروف العربية لكتابة تلك اللغات ، وكان ذلك يُساعدهم على قراءة تلك اللغات لمعرفة السابقة باللغة العربية ، وفي الوقت نفسه فقد أبقت تلك اللغات بكتابتها العربية الناطقين بها على صلةٍ بالقرآن الكريم حيث يمكنهم قراءته دون معرفة معانيه ، وكذا الحديث النبوي ، أو تسهّل تعلم العربية وقراءة القرآن . ومن اللغات التي استعملت الحرف العربي الاندونيسية ، والملايوية ، والأوردو ، والفارسية ، والتركية ، ولغات الشعوب التي خضعت لسيطرة الروس ، ولغة جنوبي الفليبين والسواحلية في شرقي إفريقيا ، وبعض لغات القبائل الإفريقية .

٢- الضعف: لما تمكّن المستعمرون النصارى من معظم ديار الإسلام ، وصار لهم أعوان ، يُظهرون الإسلام ، وهم ليسوا من أهله ، فأوحوا إلى أولئك الأعوان بإلغاء الحروف العربية من لغاتهم ، واتخاذ الحرف اللاتيني في كتابة لغاتهم ، وذلك في سبيل قطع كل صلةٍ بالعربية ، وإن كانت صلة الحرف ثانويةً إلا أنها ذات أثرٍ في تعليم قراءة القرآن ، والحديث النبوي . لقد قام مصطفى كمال بإلغاء الحرف العربي من كتابة اللغة التركية ، وأمر أن يكون الحرف اللاتيني هو المعوّل عليه في الكتابة . وهذا ما شجّع هولندا بأن تقوم بالدور نفسه في أندونيسيا ، كما أن روسيا سلكت المسلك نفسه بالنسبة إلى الشعوب التي تُسيطر عليها ، وكذا قامت بريطانيا بالنسبة إلى اللغة السواحلية ، وفعلت الصومال ذلك بعد انضمامها إلى جامعة الدول العربية ، وقد أعلنت ذلك في ١٤ رمضان ١٣٩٢هـ (٢١ تشرين الأول ١٩٧٢م) يوم الذكرى الثالثة للثورة وذلك لعدة اعتبارات ، ولظروفٍ خاصةٍ - حسب - رأي البيان الذي أذيع يومذاك . ولم يبق من اللغات يكتب بالحرف العربي سوى الفارسية ولغة

الأوردو التي تتكلم بها باكستان . ولغة جنوبي الفليبين .

٣ - التبعية : بعد أن تبعت بعض الأمصار الإسلامية إلى الدول النصرانية الكبرى ، فرض المستعمرون لغتهم رسمياً ، وجعلوا تعليمها إجبارياً إلى جانب اللغة المحلية ، ولما كانت اللغة المحلية ضعيفةً ، وأصحابها مستضعفين ، لذا فقد أصبح السكان يُقلّدون الأقوياء ، ويُحاكونهم في لغتهم ، حتى شاعت ، وأخذت تترسّخ تدريجياً حتى عمّت وهذا ما نلاحظه في معرفة المسلمين للغة الروسية في الأمصار التي كان يُسيطر عليها الروس ، والفرنسية في الأمصار التي كانت تخضع للفرنسيين ، والإنكليزية في الأمصار التي كانت تُسيطر عليها بريطانيا ، وكذا بقية لغات المستعمرين من هولنديين ، وبلجيكيين ، وبرتغاليين و... ثم انتشرت الإنكليزية عندما أصبحت الهيمنة للولايات المتحدة الأمريكية على العالم . حتى أن الهند قد ألغت لغة الأوردو التي يعرفها عامة المسلمين وكثير من الهندوس وفرضت لغة محلية لا يعرفها إلا القليل ، وأطلقت عليها الهندية .

أما في البلدان العربية فإن المستعمرين النصارى قد فرضوا لغاتهم ، وعدّوها رسميةً إلى جانب اللغة العربية ، وأجبروا الطلاب على تعلّمها في المدارس في بداية المرحلة الابتدائية إلى جانب لغتهم العربية ، ولكن ما أن استقلت البلاد ، حتّى أخرجت تعليم اللغة الأجنبية إلى المرحلة المتوسطة ، وأصبح تعليم اللغة الأجنبية للعلم والمعرفة ، ثم لتابعة موكب التطوّر العلمي لا لإضاعة شخصية الأمة بإضافة لغتها .

لكن في البلدان العربية التي تمكّن منها المستعمرون النصارى ، وعدّوها جزءاً من أرضها كما هي الحال في بلاد المغرب العربي وخاصةً الجزائر فقد فرضت فرنسا الدولة الاستعمارية لغتها ، وجعلتها الرسمية الوحيدة في دوائر الدولة ، وألزموا الناس على تعلّمها ، والحديث بها ، والطلاب على دراستها ، في سبيل إضاعة الأمة لهويتها ، وبالتالي لشخصيتها ، وأصبح حديث الناس فيما بينهم تتخلّله الكلمات الفرنسية ، وتكاد تصل كلماتها بالعدد ، إلى عدد كلمات اللغة العربية إن لم تتفوق على ذلك . بل ربما لا يستطيع أحدهم قراءة الفاتحة باللغة

العربية الفصحى ولا بدّ من إدخال بعض كلمات اللغة الفرنسية فيها . وعندما استقلّت البلاد ، مشّت في طريق التعريب ، وأخذ الشعب يستعيد هويته فظهرت شخصيته المتميزة وهذا ما هزّ الأعداء في الخارج ، وأعوانه في الداخل فوقفوا في وجه هذا التيار الذي حلّ هويته ، وأراد إعلانه ، وعملوا على ضربه ، ورأوا أن التعريب سبب من الأسباب الرئيسية في بروز الشخصية الإسلامية فعملوا مع الأسف على ترك التعريب والعودة إلى الفرنسية من جديد وذلك في سبيل إماتة الشخصية الإسلامية والقضاء على التيار الإسلامي النامي .

وهناك بلدان لم يدخل إلى أراضيها الاستعمار العسكري فبقيت اللغة العربية على حالتها في بداية الأمر حتى إذا ظهرت الهزيمة النفسية بدأت محاكاة الفرنجة وخاصة في اللغة التي ملأت الشوارع ولافتات المحلات ، وغدت الأحاديث متفرنجة ، حتى غلبت الكلمات الفرنجية على العربية ، وأخذت الشخصية الإسلامية تضع تحت شعار لغة العلم ، لغة المدنية ، واللغة الحية و..... ويأتي الغريب الخادم أو السائق فيؤثر على

أفراد البيت جميعاً ، ويصبح كل من في الدار يُكلمونه بلهجة أعجمية ، أو يحاولون محادثته باللغة الإنكليزية ، وهم كجماعة ولهم السيادة لا يُؤثرون بفردٍ أجيرٍ ، وإنما يُؤثّر الأجير فيهم ، وفي المؤسسات والدوائر ترى الخادم المستقدم ، الضعيف الذليل يُؤثّر بالموظفين جميعاً ، وقد يكون بينهم العالم (الكبير) ، وذو الشأن ، وصاحب المكانة دون أن يتأثر بهم للهزيمة النفسية لديهم والشعور بالنقص دون أن يحسّوا بذلك ، فكل يُكلّمه ولكنه أعجمية ، ويلوون ألسنتهم ، فلا هو يستقيم لسانه بل يبقى كما هو ، ولاهم يُحسنون إليه ، ولا يعتادون على الكلام الصحيح ، والمنطق السليم فهل هذا ضعف أم هذه ضعة ، للقوة ضعف ، ولذلّ تأثير؟ .

ولما كان الاستعمار النصراني مختلفاً بلغته حسب الدولة الاستعمارية لذا فقد تباينت الثقافة ، واختلفت اللغة التي شاعت ، والكلمات التي عمّت في المجتمع ، وهذا ما زاد في الهوة بين لهجات البلدان العربية ، وبالتالي ساعد في ضياع هوية السكان .

وعمل أعوان الأعداء على الهدم من الداخل فأخذوا بطرح أفكارٍ على الساحة ، وكلها تعمل على ضرب اللغة العربية في سبيل إضاعة الهوية ، وفي سبيل طعن الإسلام إذ أن اللغة العربية هي التي تجمع بين السكان والتفاهم فيما بينهم ، ووحدت الثقافة والفكر ، وتستمد قوتها أيضاً من القرآن الكريم ، إذ يُحافظ عليها ، ويمدّها بالقوة ، وفي الوقت نفسه يسهل فهمه بمعرفتها . ومن الأفكار التي طرحها الأعوان ، كتابة اللغة العربية بالحرف اللاتيني بحجة السهولة والتخلص من الشكل ، وليتسنى للآخرين معرفتها ، وفي الواقع للبعد عن القرآن الكريم ، والنأي عن فهم مراميهِ ، ومعرفة بلاغته ، فهو منهج حياة ، ودستور المسلمين ، وبالبعد عنه يفقد المسلمون أسلوب حياتهم ، وبالتالي تضيع هويتهم ، وتمحى شخصيتهم . ومن هذه الأفكار كتابة اللغة العربية باللهجة المحلية بحجة سهولة فهم الناس لها ، والواقع لإبعاد الأمة عن فهم كتابها ، كما سبق أن ذكرنا ، إذ أن الأفكار المطروحة من أعوان الأعداء كلها ترمي إلى هدفٍ واحدٍ وهو ضرب الإسلام ، ولهذه الفكرة مرمى أيضاً

هو تجزئة الشعب العربي حيث لم يعد السكان في إقليم يفهمون لهجة سكان الإقليم الآخر، وتتطور مع الزمن إلى لغة خاصة في كل إقليم ، فلا يفهم الشامي لغة المصري ، ولا المصري يعرف لغة المغربي ، وكل يتعصب لهجته ويتبجح بها .

كما أن بعض هؤلاء الأعوان قد اتجهوا إلى إحياء لغة الإقليم الجاهلية القديمة وتعصبوا لها ، ودعوا إلى دراستها ، ومعرفتها ، وتعلمها ، والكتابة بها ، والحديث بها ، وذلك لإبعاد اللغة العربية - لغة القرآن الكريم - نهائياً عن الساحة ، ونسيانها تماماً ، وذلك للهدف الذي ذكرناه نفسه ، وعلى سبيل المثال كتب طه حسين ، ذلك الرجل الذي لمعته وسائل الإعلام النصرانية والمحلية حتى جعلت منه صنماً ، كتب رسالة إلى سعيد عقل باللغة الهيروغليفية ، لغة مصر القديمة ، ولا شك فإن سعيد عقل لا يعرفها ، وليس الهدف من ذلك المعرفة ، وإنما لإبراز تلك اللغة ، والعمل على إحيائها ، فأجابه سعيد عقل برسالة باللغة الفينيقية ، لغة الساحل الشامي الشمالي ، وطه حسين لا يعرف هذه اللغة بل إن الرسالتين لا تضمان أي معلومات أو أخباراً ،

أو تحيات وإنما مجرد كلماتٍ متقطعةٍ لا معنى لها هدفها إبراز تلك اللغات القديمة ، والبعد عن العربية ، وضرب الإسلام ، وإعلان الحرب عليه بأشكالٍ مختلفةٍ وصورٍ غير مباشرة .

كانت لغات الدول النصرانية التي انتشرت في الأمصار الإسلامية متعددةً بتعدد الدول الاستعمارية ، إذ انتشرت لغة الدولة الاستعمارية في الأقاليم التي سيطرت عليها من ديار الإسلام ، فقد انتشرت مثلاً الهولندية في أندونيسيا ، والبرتغالية في غينيا - بيساو ، وبعض أجزاء أندونيسيا ، والألمانية في أجزاء إفريقية الشرقية التي تخضع لنفوذ ألمانيا ، والإيطالية في ليبيا ، وأريتريا ، والجزء الجنوبي من الصومال ، والروسية في البلدان التي تقع تحت السيطرة الروسية في وسط آسيا ، وأقاليم القوقاز ، ومنطقة الفولغا ، والصينية في تركستان الشرقية ، والفرنسية في الأمصار التي تستعمرها فرنسا ، والانكليزية في الأقاليم التي تُسيطر عليها بريطانيا ، وهذه اللغات المتعددة والمتباينة لاشك تضعف الصلة بين أجزاء الأمة الإسلامية الواحدة . وخفّ

التباعد قليلاً في المرحلة التي استقل فيها كثير من الأمصار الإسلامية ، وعمل المخلصون في هذا الميدان ، وساهمت الحركات الإسلامية مُساهمةً فعّالة غير أنها كانت دون المطلوب ، حيث لم تستطع مقاومة المخططات الاستعمارية ذات الإمكانات الضخمة وذات الأعوان المتسلّطين على كثيرٍ من ديار الإسلام .

ومع سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وهيمنتها على أجزاء واسعةٍ من العالم اقتصادياً وسياسياً طغت لغتها الانكليزية على تلك الأجزاء ، وانتشر أعوانها ، والمتفرنجون ، وأصحاب الشهوات ، وأعداء الإسلام جميعاً يعملون لطغيان تلك اللغة تحت شعارات « لغة العلم » و « اللغة العالمية » و « لغة التفاهم بين البشر » والناس على جهلٍ من أمرهم ، وعلى غفلةٍ يسمعون ، ويُردّدون ، ويُقلّدون ، حتى أصبحت الأمة المسلمة في شبه ضياع ، ما تسمع إلا كلمات انكليزية تُردّد بين المسلمين ، وجمالاً أثناء الأحاديث العادية ، وهي تزداد مع الزمن ، ومع ارتقاء الأعوان ووصولهم إلى رؤوس السلام في عدد

من الأمصار ، وتشجيعهم لهذا رغبةً وتخطيطاً وتبعيةً وهدفاً .

لقد كان المسلمون يتنقلون في أقاليمهم كلها دون أية حواجز وحيثما سار الإنسان في ديار الإسلام يسمع الكلمات العربية سواء أكان الشعب عربياً أم أعجمياً ، كلمات : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . كيف صحتكم ، بخير إن شاء الله . أعوذ بالله . وأحاديث نبوية ، كلمات ، وآيات من القرآن الكريم تُتلى أثناء الكلام وربما بيت من الشعر ، أو مثل سائر ، أو حكمة شائعة هذا بالنسبة إلى العامة ، أما بالنسبة إلى أهل العلم فحديثهم بالفصحى ، وكذلك كلامهم ، وكتابتهم ، وذكرنا بعض ما قدّمه علماء المسلمين من الأعاجم للحضارة العربية الإسلامية بكتابتهم ، ولا يزال من آثار أولئك العلماء كتبهم ضمن كتب التراث ، كما لا يزال بعض العلماء إلى وقتنا الحاضر ، ممن وعى قلبه ، وانشرح صدره ، وصحا عقله . وإن كان هؤلاء قلة إلا أنهم موجودون ، ويزداد عددهم مع زيادة انتشار الإسلام ، والوعي ، ومعرفة الواقع ، وما يُحطّط للمسلمين ، وما يُكاد لهم ، وما يجري حولهم ، وبين ظهرانيتهم .

وأما اليوم فحيثما سرت في أرجاء العالم الإسلامي فلا تسمع إلا رطانةً في اللسان ، ولكنة أعجمية في الكلام ، وفرنجة في الحديث ، وتعالم وشموخ أنف عند أولئك المستغربين ، وهزيمة نفسية عند الذين لا يُجيدون التفرنج ، وقد يحتاج المسلم العربي في بلاد العرب إلى ترجمان ، ويجد نفسه غريب الوجه ، واليد ، واللسان هذا في الأمصار العربية ، أما في غيرها من ديار الإسلام، فقد تمكّنت اللغة الأجنبية ، وأصبحت لغة التخاطب ، وربما اللغة الرسمية في عددٍ من الأقاليم ، وهكذا أخذت الأمة الإسلامية تفقد هويتها ، وما امتازت به من عربية في اللسان وما ذلك إلا نتيجة ترك لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ، وكتب الفقه ، والتاريخ الإسلامي ، والسير ، وإهمالها لذلك غفلةً وجهلاً ، وعصبيةً أحياناً .

جاء مسلم من أساتذة الجامعة من إقليم البنغال ليُدْرَس في إحدى الجامعات العربية أملاً في أن يُتقن لغة القرآن الكريم ، غير أنه رجع بعد خمس عشرة سنةً كما جاء — حسب قوله — إذ يقول : إن المحاضرات باللغة الإنكليزية ، والأسئلة والإجابة

لاشكّ باللغة نفسها ، ويدور الحديث في اجتماعات القسم كذلك بالإنكليزية ، وخارج قاعة المحاضرات يُكلّمني الأساتذة باللغة الأجنبية فأرجوهم أن يكون الحديث بالعربية عسى أن أتعلّمها ، غير أن الواحد منهم يصرّ على الكلام بالأجنبية بقصد إظهار معرفته أيضاً للغة الإنكليزية ، وأنه (مثقّف)، والواقع أن الشعور بالنقص يكاد يقتلهم ، والإحساس بالضعفة يوشك أن يقضي عليهم جميعاً . وها أنذا أعود حزينا كئيباً إذ لم أتعلّم شيئاً من اللغة التي أحببتها لارتباطها بعقيدتي ، كما أني شعرت أن أمتي تسير في طريق الضياع ، وتعمل على فقدان هويتها قاصدةً ومن غير قصدٍ ، فالأعاجم يرتبطون بلغة أمتهم ويسعون إليها ، وإلى أهلها ، ومهدّها ، وأهلها زاهدون بها يرتبطون بلغة الأجانب ، ويتعلّقون ، ويتباهون بذلك ، فوا أسفاه على أيام مجد تلك اللغة ، لغة القرآن ، فهي تصرخ بأهلها ، ولكن لا يسمعون النداء ، ويطلبون الدعوة بالانكليزية كي يفهموا ، ويمكنهم الجواب .

الرأي في تعلّم اللغة الأجنبية :

نحن لا نمانع بتعلّم اللغات الأجنبية بل نطالب به ، ونرى أنه من الضروري أن يكون جهاز كامل يتقن اللغات الأجنبية كلها حتى لا يصدر كتاب علمي إلا ويترجم إلى لغتنا ، ولنرى مدى فائدتنا منه ، ولا يكتب بحث أو مقال يتعلق بأمثنا إلا ونكون أول المطلعين عليه ، العارفين لمضمونه ، العالمين عما يُخطط لنا ، والأهداف البعيدة التي يقصدها ذلك المقال ، وما يأتي إلينا وفد ، وما يذهب من عندنا وفد إلا ونعرف ماذا يدور بيننا ، ويمكننا الحوار معهم . بل لابدّ من وجود جهاز لكل اختصاصٍ علمي لمواكبة تطوّر العلم ومتابعة ما يجري على الساحة العلمية من مستجدات .

غير أن تعلّم اللغة الأجنبية ، وهو ما نطالب به شيء ، والمحادثة فيها ، واستعمالها كدفيقٍ للغة العربية بل كبديلٍ أمر آخر . إن تعلّم اللغة الأجنبية كعلم أمر مطلوب ، وكل أمة تحرص أن تتّلع على ما تتوصل إليه الأمم الأخرى من علوم ، وذلك كي تأخذ بأسباب التطوّر ، وليكون تبادل علمي بين أمم

الأرض في سبيل خدمة الإنسانية والعمل على إسعادها لتجنّب بعض الأمراض بمعرفة الدواء ، ومكافحة الأخطار ، والحدّ من انتشار الأوبئة .

ولكن الأمر المرفوض ، والذي يأباه كل مسلم ، ويمقته كل من في قلبه ذرة إيمان هو اتخاذ اللغة الأجنبية لغةً بديلةً للغة العربية في التعليم بحجة أن اللغة الانكليزية هي لغة العلم ، والتباهي بالحديث بلغةٍ غير لغة الأمة تحت شعار أن اللغة الإنكليزية لغة حية ، والاندفاع نحو اللغة الإنكليزية تحت شعار أنها لغة سهلة التعلّم بسيطة القواعد ، والمفاخرة بالكلام باللغة الأجنبية إشارةً إلى المدنية ، وإظهار التقدمية ، وإعطاء صورة عن الثقافة والوعي ، فكل هذا يُقدّم مؤشراً على هزيمة نفسية قاتلة ، وضياحٍ للشخصية ، وشعورٍ بالنقص هذا بالنسبة إلى العامة من الناس والجهلة ، أما بالنسبة إلى الذين يظنون أنفسهم أنهم متعلمون فهو محاولة مقصودة لضياع شخصية الأمة ، وإفقادها هويتها ، والسير في ركب الأمم النصرانية ، والواقع أن هؤلاء جهلة ، ولو ظنّوا بأنفسهم العلم ، وادعوا

المعرفة . فما الرأي فيمن يحاكي أعداءه ، ويرفع من شأن لغتهم ، ويضع من مكانة لغته ؟ وما ستكون النتيجة عندما نتكلم بلغة غيرنا ، ونقلدهم ، ونهمل لغتنا ؟. لاشك أن الأبناء سينشأون على جهل بلغتهم فينقطع ما بينهم وبين ما ضيهم ، ويعجزون عن فهم تراثهم ، وبالتالي يصعب عليهم معرفة كتاب الله ، وبالتالي لا يستطيعون قراءته ، ولا يدرون أحكامه ، وبيتعدون عنه تدريجياً حتى ينسونه ، وتهمل العقيدة ، وهذا من أهداف الأعداء ، وبعدها تضعف ثقافته فيما يتعلق بأتمته ويقل ارتباطه بها ، ويتجه نحو الأمة التي يتكلم لغتها ، ويتثقف بثقافتها ، ومن ثم يصبح جزءاً منها ، وأحد أبنائها ثقافةً ، وعاداتٍ ، وتقاليد ، وفي نهاية المطاف عقيدةً ، وهذا آخر أهداف الأعداء ، وخاتمة تنفيذ مخططاتهم .

والتعليم باللغة الأجنبية لا يمكن للمدرس مهما أوتي من علم بلغة الأعداء وبيان بها لا يمكنه إفهام الطلاب وإدخال المعلومات وتوصيلها إلى مداركهم كما لو أذاها بلغتهم التي نشأوا عليها وتربوا على سماعها ، ولقنوا معانيها ، وأهداف تلك

المعاني البعيدة ، والمترادفات فيها ، فهذا تقصير من الناحية العلمية أولاً ، وبالتالي إضعاف للغة الأمة ، وبلي ذلك إهمالها ، فنسيانها ، فإماتتها ، وما أعتقد أمةً من أمم الأرض تعمل بنفسها على ترك لغتها وتفضيل غيرها عليها ، وخاصةً بالنسبة إلى الأمة الإسلامية فإن اللغة العربية لها ارتباط بالعقيدة . ولو نظرنا إلى اللغات الضعيفة في العالم لوجدنا أن أهلها والمسؤولين فيهم يحرصون الحرص كله على التعليم بلغة أمتهم مهما كانت مكانتها ضعيفةً ، لرفع مكانتها عند أبنائها وبالتالي بين لغات العالم أو بالأحرى يرفضون التدريس بغير لغتهم مهما كانت مكانتها ضعيفةً ومهما كانت الإمكانيات ضئيلةً ، ومهما كان مستوى اللغة منحطاً ، فدولة كوريا الجنوبية مثلاً رغم ارتباطها الوثيق بالولايات المتحدة الأمريكية ، ورغم مستوى لغتها الضعيف ، ورغم الإمكانيات المادية المتعبة فإن الشعب فيها يأنف أن تلقى المحاضرات على أبنائه باللغة الانكليزية ، ويُصرون على أن يكون التعليم باللغة الوطنية ، ويأبى أساتذة الجامعات إلا أن يُدرّسوا بلغتهم اعتزازاً بها ، وإثباتاً للشخصية

الكورية ، ويقومون في الوقت نفسه بترجمة كل ما يصدر من كتب بلغات العالم كلها في مجالات العلوم جميعها إلى لغتهم ، وتوضع هذه الكتب بين أيدي أصحاب الاختصاص .

وبالمقابل فإن كثيراً من الأمصار الإسلامية تتبنى اللغة الانكليزية لغة رسمية لها ، وهي غالباً التي كانت تحت دائرة النفوذ الانكليزي ، ويعتمد بعضها الآخر تلك اللغة للتدريس في الجامعات على أنها هي لغة العلم ، وأكثر الكتب العلمية مدونة بها ، ومن المؤسف أن الذين يعتمدون الانكليزية لغة للتدريس يتعصبون لها تعصباً شديداً ، ولا يتصورون - حسب زعمهم - أن تدرس المواد العلمية باللغة العربية ، وهم في هذا يهاجمون لغتهم ، ويتنكرون لها ، ولأمتهم ، ويسرون في فلك أمة ثانية ، ولو أراد المرء أن يسبر غور هؤلاء لوجد أنهم يلتحقون بغير أمتهم ، يُحاكون تلك الأمة لغةً ، ويُقلّدونها في منهج حياتها بل هم أداة لتنفيذ مخطط تحطيم الأمة الإسلامية سواء أكانوا على علم بذلك أم كانوا على غير علم ، ويبدو أن الأول هو الأرجح حيث يظهر ذلك في سلوكهم وتصرفاتهم .

ب- التاريخ :

يعدّ المسلمون جميعاً على اختلاف ديارهم ، وأجناسهم ، ولغاتهم ، وألوانهم أن تاريخهم الحقيقي الذي يفخرون به إنما يبدأ باعتناقهم الإسلام ، وما عداه فجاهلية لا ينظر إليها إلا عندما يراد التمييز بين الإسلام الذي رفع من قيمة الأمة ، ونهض بأفكارها وعقائدها وبين المرحلة التي سبقتة عندما كانت تسيطر الجاهلية إذ لم يكن الناس ليصلون إلى مستوى أدنى البشر حيث كانت تتحكم فئة بأخرى ، ويستعبد الناس بعضهم بعضاً ، ويُجبرونهم على اتخاذهم أرباباً من دون الله ، هذا بالإضافة إلى تسلّطهم على المرأة والمستضعفين مع ما كان يرين على قلوبهم من أفكار غريبة وصلت بهم إلى أن يعبدوا الحجر في أمكنة ، والبشر في جهات ثانية ، والبقر في أمكنة أخرى ، والشجر في بقاعٍ ثالثة . ولا يقصد بالجهل ضد العلم ، وإنما ضدّ الهدى ، فقد طغت الأوهام على عقولهم ، وطمست على أفئدتهم فمنعت النور من الوصول إليها . ويقول أحد قادة الفكر الإسلامي : « ولست أرى في تاريخ الفكر الإنساني

وصمة عارٍ أشدّ من قبول الوثنية ديانةً ، والأوثان آلهةً ، وهي صمّاء بكاء ، لا تسمع ولا تُبصر ، ولا تعقل شيئاً وعبادة الأصنام المتخذة من حجارة - وهو الغالب في الأصنام - أقلّ ما يُقال فيها أنها تربط العقل الوثني بالأرض وأحجارها ، وتحده من النظر في السماء وآفاقها ، تحده من حرية تفكيره بل تغلّها وتقيدها قيداً لا يرجى معه خير في تطوير أو تقدّم ، ولكن عبادة الله خالق الأرض والسموات ، ومبدع الأكوان على أجهل نظام يجعل عقل المؤمن متجهاً إلى السماء لا إلى الأرض ^(١) . وكان رحمه الله - قد قصر موضوعه على المنطقة العربية كريدٍ على جاهليها ، وليس هناك من فرقٍ بين من يعبد الحجر أو الشجر أو البقر أو البشر ، كما هي الحال في الأمم الأخرى .

وعندما تمكّن المستعمرون النصارى من ديار الإسلام ، وطرحوا وشائج بين الأمم ، وكان من هذه الوشائج العصبية

(١) مصطفى السباعي في مقالٍ له « العرب والإسلام » نشرته مجلة حضارة الإسلام في العدد الثاني من السنة السابعة .

القومية لإبعاد المسلمين بعضهم عن بعض ، وإيجاد رابطةٍ تصل بين المسلمين والنصارى الذين يعيشون في كنف المسلمين ، وفي ذمتهم ، وذلك لاختراق الرابطة الإسلامية ، وإيجاد أعوان لهم بين المسلمين كجواسيس لهم ينقلون إليهم كل ما يجري على الساحة ، ولفتنة المسلمين ، وإبعادهم عن عقيدتهم .

طرح القوميون فكرة ربط تاريخ العرب الحديث بالتاريخ القديم للمنطقة ، وحاولوا رفع شأن تلك المدة من الجاهلية وجعلها بمستوى أيام الحكم الإسلامي إن لم تفقها ، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، ولن تستطيع قوة أن تحلّها ذلك المحلّ مهما أوتي أصحابها من عزيمةٍ حيث لا يمكن للمسلمين أن يقبلوا وضع « ها نيبال » و « عشتاروت » على قدم المساواة مع أبي عبيدة ، وعمر ، وصلاح الدين ، بل لا يقبل ذلك المنطق والعقل السليم إلا إذا غُيّرت الحقائق وتبدّلت المفاهيم ، وأصبح الحق باطلاً ، والباطل حقاً .

وحاول آخرون أن يعدّوا الفتح الإسلامي نوعاً من الاستعمار والخطوات التي توالى على المنطقة ، فوضعت طوابع تذكارية

عليها صور الفراعنة ، ووضع عند مداخل أجنحة المعارض الدولية تماثيل الفراعنة ، وأطلق على الشوارع أسماء الفراعنة كل ذلك في سبيل وصل السكان بالحياة الفرعونية القديمة ، ولكن المسلمين لم يأبهوا بهذا رغم أن هذه الأقوال تكررت على لسان المسؤولين وبأقلام كتّاب أعطوا صفة التقدير ، فأحدهم رأي طه حسين الذي يقول عن المصريين : « وقد عبثت بهم الخطوات منذ أكثر من عشرين قرناً ، ولكنهم ظلوا رغم ذلك مصريين محتفظين بهذه المصرية »^(١) وإن عقلية المصريين ترتبط بالغرب أكثر من ارتباطها بالشرق ، برأي ذلك الكاتب إذ يقول : « إن من السخف الذي ليس بعده سخف اعتبار مصر جزءاً من الشرق ، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية »^(٢) .

وعدّ آخرون الفتوحات الإسلامية هجرات اقتصادية دعت إليها الحاجة الملحة بسبب القحط الذي أصاب الجزيرة

(١) طه حسين في الأدب الجاهلي ص ٣١٦ طبع دار المعارف المصرية - مصر .

(٢) طه حسين في كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » ص ٤١ .

العربية يومذاك ، أو فتوحات اقتضتها الظروف السياسية الراهنة آنذاك والأوضاع التجارية .

وعندما تمكّن المستعمرون النصارى من تشديد قبضتهم على ديار الإسلام ، وأصبحوا المشرفين على المناهج ، عملوا على ربط التاريخ الإسلامي بالتاريخ الأوربي ، وعدّوا ذلك كله تاريخاً ، وذلك كي لا يتميز التاريخ في الأمصار الإسلامية ، ويصبح عامل وحدةٍ وانسجام . فقد قسّموا التاريخ إلى ثلاثة أقسام تبعاً لما مرّ في أوربا ، وهذه الأقسام هي :

١ - التاريخ القديم : ويبدأ منذ معرفة الإنسان الكتابة حوالي عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد حتى سقوط روما بيد البرابرة الجرمان عام ٤٧٦ م ، ويمتاز أواخر هذا القسم من التاريخ بقيام (امبراطورياتٍ) واسعةٍ ، وظهور حضارات مادية حسب المفهوم الأوربي .

٢ - التاريخ الوسيط : ويبدأ من سقوط روما عام ٤٧٦ م ، وينتهي بفتح القسطنطينية عام ١٤٥٣ م (٨٥٧ هـ) على يد

السلطان محمد الفاتح العثماني ، ويمتاز هذا العصر بسيطرة الكنيسة ، ورجال الإقطاع ، والجهل .

٣ - التاريخ الحديث : ويبدأ من فتح القسطنطينية ، وينتهي في الأيام التي نعيش فيها ، ويتسم بالثورة الصناعية ، وانتشار العلم ، وقيام الحضارة الحديثة حسب المفهوم الأوربي الخاص ، كما يُقسّمون هذا العصر إلى قسمين :

أ - التاريخ الحديث : وينتهي بالثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م (١٩٣هـ) .

ب - التاريخ المعاصر : ويبدأ من قيام الثورة الفرنسية ويمتدّ إلى وقتنا الحالي .

وإن نظرة واحدة إلى هذا التقسيم تُوضح لنا أن هذه الأحداث والسمات الخاصة بكل جزء منها إنما ينطبق على أوربا وحدها ، ولا يتفق مع ما سواها . والذي يهمننا بالدرجة الأولى في هذا المجال التاريخ الوسيط الذي امتاز بالإقطاع ، وسيطرة الكنيسة ، والجهل ، وهذه الميزات لم تكن موجودة إلا في

تلك القارة ، أما في بقية أنحاء العالم ، فليست هناك من كنائس ، وإن وجدت فأصحابها قلة ، لا يمكن لهم السيطرة ، ولا يستطيعون الطغيان . وأما الإقطاع فلم يكن هناك مفهوم إلا المفهوم الموجود في أوربا ، وبصورة عامة غدت كلمة التاريخ الوسيط تعني التأخر ، والجهل ، والفوضى ، وسوء النظام ، والاستهتار بالقيم كلها ، وإذا نظرنا إلى هذه المرحلة التي نتكلم عنها من التاريخ رأينا بلادنا الإسلامية موطن انتشار العلم ، وسيادة النظام ، ووجود القيم ، فالمدن عامرة بالمدارس والمكتبات ، وهي محط أنظار المتعلمين ، ومساجدها مراكز إشعاع ، وكانت الحضارة قد بلغت الأوج في ديار الإسلام في هذه المرحلة وتعدت مجالاتها خدمة الإنسان إلى الرفق بالحيوان . فكيف يمكن أن نضع هذا العصر ضمن مرحلة الجهل ، والتخلف ، وسيطرة الكنيسة ، وسيادة الإقطاع ، وما ذلك إلا في سبيل إهمال التاريخ الإسلامي ، وإبعاد أهله عنه ، بوضعه ضمن التاريخ العالمي - حسب زعمهم - .

ونتيجة التوجيه النصراني للمناهج اقتصر كل مصر في العالم

الإسلامي على تدريس تاريخ عصره الحديث مع التاريخ الأوروبي المعاصر ليقبل من الفكر الاستعماري ما تريده أوروبا أو بالأحرى ليقبل فكره بالاستعمار ، تاركاً تاريخ الإسلام حسب مخططٍ مرسومٍ له ، وطريقةٍ مكتوبٍ عليه أن يسلكها .

على الرغم من كل المخططات النصرانية التي وضعت في سبيل إبعاد التاريخ الإسلامي عن المناهج ، ومحاولة المغالطات التي طرحت لتدريس التاريخ الجاهلي والتاريخ الأوروبي إلا أن موضوعات السيرة ، وقصص من حياة صحابة رسول الله ، ﷺ ، لاتزال تتناقلها الألسن ، وتذكرها الأجيال بعضها لبعض ، وتشكل موضوعات تربوية في مختلف الأمصار الإسلامية . كما أن أسماء أولئك العظماء من السلف الصالح لايزال يحملها أبناء هذا العصر على أن أصحابها قدوة ، ومثل عليا بالنسبة إلى المسلمين في كل زمن . فنجد المسلمين لايزالون يُسمّون : عمر ، وطلحة ، وعلي ، وعثمان ، وخالد ، وصالح الدين ، وسعد و... ونجد من النساء آمنة ، وخديجة ، وزينب ، وفاطمة ، وعائشة و... وكل هذا يدلّ على ارتباط الحاضر بالماضي ، والتأثر

بالتاريخ الإسلامي ، وارتباط المسلمين بعضهم مع بعض ،
ويُشكّل التاريخ إحدى وشائج الارتباط ، ويُعطي علامةً مميزةً
للأمة الإسلامية بأسماء أبنائها ، وارتباطها بأبطال معينين مع
نأي الديار ، واختلاف الشعوب ، وتباين القبائل ، وابتعاد
الأقاليم .

جـ- الآمال والآلام :

لما كان المسلمون أمةً واحدةً ، وكانوا كتلةً واحدةً ،
ويتمثلون قول رسول الله ، ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر البدن بالسهر والحمى » ، لذا كانوا إذا أَلّت
بإقليم نازلة اضطربت بقية الأقاليم ، وبدا ذلك على وجوه
السكان من وجوم وانقباض وتأثر ، وإذا حدث نصر في مصر
ابتهجت بقية الأمصار وظهر ذلك على وجوه الرعية جميعاً من
الابتسامة والفرح . فأحداث صقلية ، وتدفق الصليبيين
وحملاتهم إلى الشام وساحل مصر ، ودخولهم بيت المقدس

وبعض مدن الشام ، واندفاع المغول من المشرق ، وجرائمهم ، وسقوط بغداد بأيديهم ، وسقوط الأندلس بيد النصارى الإسبان ، هذه الأحداث كلها هزت كيان المجتمع الإسلامي هزاً عنيفاً ، وحركته من الأعماق فهت يتلمس الطريق ، ويبحث عن الوسيلة لاستعادة ما فقد . وكذا فإن انتصار المسلمين في ملازكرت ، والزلاقة ، وفي حطين واستعادة بيت المقدس ، وانتصار عين جالوت قد أثار مشاعر المسلمين فعمت عندهم الأفراح .

وشعر المستعمرون النصارى بتلك الوشائج التي تربط المسلمين بعضهم مع بعض ، عرفوها من خلال أحداث التاريخ فغالباً ما كانوا طرفاً في هذه الأحداث ، كما عرفوها حتى في المراحل المتأخرة عندما كان المسلمون في وضعٍ من الضعف لا يمكنهم من القيام بأية حركة ، وفي وضعٍ من الجهل لا يجعلهم يدركون ما يجري على الساحة بعيداً عنهم ، وخاصةً إن كانت في ميدانٍ ناءٍ عنهم .

وفي الحرب العالمية الأولى وقفت بريطانيا التي تسيطر على شبه جزيرة الهند آنذاك ، بجانب الحلفاء ضدّ الدولة العثمانية التي دُفعت لخوض غمار تلك الحرب دفعاً ، وأُجبرت على ذلك ، وكانت الدولة أقوى دولةٍ تحمل اسم الإسلام ، وتحمل اسم الخلافة ، وتشمل على جزءٍ كبيرٍ من بلاد المسلمين ، فوقف المسلمون في الهند ، موقف الوجوم ، موقف الناقد لبريطانيا ، والحاقد على سياستها ، والمتذمّر من وقوفها ضدّ الدولة العثمانية أكثر من تدمره لاحتلالها لبلادهم ، الهند ذاتها ، فكان المسلمون ينتظرون نتيجة المعركة ، تنبض قلوبهم حسب تحركات الجيوش ، وتلهف أفئدتهم مع سير الأساطيل ، وانتهت المعركة ، وانتصرت بريطانيا مع حلفائها ، واحتلّت بريطانيا مدينة استانبول ، عاصمة الدولة العثمانية إثر هزيمتها ، وكسر شوكتها ، وهنا انفجرت الثورة في الهند ، وقوطعت بضائع الحكومة ، وأُحرقت حمولات البواخر ، وأُغلقت المحلات التجارية ، وتعطلت الأعمال ، وعُرفت هذه الحركة باسم حركة الخلافة ، إذ تشكلت جمعية الخلافة في الهند إثر إلغاء الخلافة الإسلامية يوم ٢٧ رجب

١٣٤٢هـ (٣ آذار ١٩٢٤م) على يد أحد يهود الدونمة المتظاهر بالإسلام وهو الذي يحمل اسم مصطفى كمال ، والذي كانت بريطانيا وراءه تدعمه وتوجهه ، وتدفعه لإلغاء الخلافة وبعض المظاهر الإسلامية ، كالغاء الأذان باللغة العربية ، وإبدال الحرف العربي بالكتابة واستعمال الحرف اللاتيني مكانه ، هذا مع العلم أن المسلمين في شبه القارة الهندية أقلية ، وليسوا أكثرية . كما شكل المجلس الإسلامي الأعلى في أندونيسيا «جمعية الخلافة في الهند الشرقية» ، وهي فرع لجمعية الخلافة في الهند ، وأندونيسيا أبعد المواطن عن مقر الدولة العثمانية .

وفي الحرب العالمية الثانية أنزلت بريطانيا بعض قواتها في أندونيسيا بعد خروج اليابانيين ، وكان بين القوات البريطانية بعض الفرق الهندية المسلمة فرفضت هذه الفرق القتال حيث أبت أن تُقاتل إخواناً لها بالإسلام وهم القوات الأندونيسية التي هبت تُدافع عن حماها ضد الغزاة المستعمرين الجدد .

وبعد تقسيم الهند حسب عقيدة السكان إلى باكستان و هند برزت قضية كشمير ذات الأكثرية المسلمة إذ هاجمها الهندوس ،

وأخذوا بارتكاب أبشع الجرائم ، وانتهاك الحرمات ، واغتصاب النساء بالجملة فثارت نائرة المسلمين في كل بقعةٍ وُجدوا عليها ، فعمل المستعمرون وأعدائهم على كبح جماح المسلمين الثائرين الغاضبين ، واتخذوا مختلف الحيل لتهديتهم ، ولاتزال هذه القضية كما هي بعد مرور أكثر من ستِ وأربعين سنةً ، كما لاتزال الجرائم ترتكب ، وتكاد تتكرر يومياً ، والإنسانية قد تبلّدت أحاسيسها .

وحلّت النكبة بفلسطين فتحركت الضمائر ، وهاجت النفوس ، وثارت تُريد المعركة ، وترغب في الثأر ، وعلت الأصوات تبغي الجهاد ، وكثرت الاجتماعات ، وغصّت المحافل بالناس تستمع إلى الخطباء ، وكلها تهتف لفلسطين من أرض الشام ، وسار من سار إليها يدفعه الدين ، وأسرع من أسرع نحوها ينوي الجهاد في سبيل الله ، ومنعت الحكومات ما شاء لها هواها أن تمنع ، ولكن إن لم تذهب الأجسام إلى فلسطين فقد كانت هناك القلوب تُحارب وتُجاهد ، وفشل المسلمون ، ونجح أعداؤهم بسبب تلك الظروف وضعف الإيمان الذي اتصف به

المسؤولون ، وابتليت به الأمة ، وبقي المسلمون مدةً من الزمن
وكان الهزيمة أصابت كل واحدٍ منهم ، وبقيت الدول
الإسلامية بجانب قضية فلسطين لاتحيد عنها شبراً ، ولا تتخذ
فيها رأياً ، ولا ترسم سياسةً إلا بعد المشاورات والمداولات مع
جيران فلسطين وأبنائها ، ولا يستطيع الرعاة أن يظهروا أي
موقفٍ لا يتفق مع رغبة الشعوب ، بل كانوا يزاودون ويُتاجرون
بهذه القضية ليرضوا الرعية حتى سُلّمت القضية إلى من يُظهر
الإسلام ، وهو ليس من أهله ، على حين غفلة من الأمة ،
وحُلّت بصورةٍ مجانيةٍ للحق .

وتحرّك المسلمون في الجزائر ضدّ المستعمرين النصارى من
الفرنسيين ، وكانت منازلات بين الطرفين ، وانتصر المسلمون
بإذن الله ، واضطرت فرنسا إلى الانسحاب من ديار الإسلام ،
وما كنت ترى في العالم الإسلامي يومذاك النصر إلا الابتسامة
باديةً على وجوه المسلمين طافحةً على حُيَّاهم .

أحسّ المستعمرون النصارى بما بين المسلمين من آمالٍ وآلامٍ
فعملوا على تفتيتها فوضعوا المخططات لذلك ، وطرحوا

شعارات الوطنية الضيقة والعصبية القومية النتنة ، والاشتراكية لينفر المسلمون بعضهم من بعض ، وليقول الجهلة والذين في قلوبهم مرض ممن قبل هذه البدائل ما علاقتنا بذلك الشعب في ذلك المكان النائي الذي لا تربطنا به وشيجة ، وما صلتنا بأولئك البشر البعيدين عنا ، فلندبر أمور أنفسنا قبلاً ، وإذا استطعنا أن نبحث في أوضاع جيراننا ، أليس ذلك هو الأفضل ؟ إن المرض النفسي ، والجهل بالواقع ، والغفلة عن الإسلام تجعل أمثال هؤلاء يقولون الذي ينطقون به .

وعلى الرغم من تحقيق المستعمرين النصرارى لبعض أهدافهم في حمل جماعات من المسلمين للأفكار الدخيلة البديلة عن الأخوة الإسلامية كالوطنية، والعصبية القومية، والاشتراكية، وفي جعل بعض أفراد من المسلمين يتبنون المناهج المادية ، ويُقلّدون الفرنجة في أسلوب حياتهم رغم كل هذا بقيت الرابطة الإسلامية ذات أثر كبير في نفوس غالبية المسلمين وتتحرك في كل مناسبة ، لقد أقدم اليهود على حرق المسجد الأقصى فعمّت المظاهرات بلاد المسلمين واشتاشت النفوس للجهاد ،

وأعلن الشباب تطوّعهم للجهاد في سبيل الله ضدّ اليهود ومن وراءهم من الطغاة والمستعمرين .

وتحرّك الطغاة المحليين بتوجيهٍ من ساداتهم لضرب الحركات والتجمعات الإسلامية والفئات الواعية التي تعمل ضمن الإطار الإسلامي وتدعو إلى الأخوة الإسلامية فتجاوبت المجتمعات الإسلامية معها ، وأيدتها ، وأبدت تعاطفاً معها ، وهذا ما جعل الطغاة بالمقابل يقف بعضهم إلى جانب بعض ، ويعملون بخطٍ متوازٍ لضرب الفئات الواعية إسلامياً ، ومحاوله سحقها ، وتُنسّق وسائل الإعلام بعضها مع بعض للعمل ضدّ هذه الفئات ، كما تقوم قوى الأمن بالدور نفسه وذلك بتشجيع الدوائر الاستعمارية ، وما هو عُرف باسم النظام الدولي ، وهيئة الأمم التي تُوجّه حسب مخططٍ صليبي ، وكلها تُخوّف الطغاة المحليين من الإسلاميين في أمصارهم ، وتدّعي أنهم يعملون لإزاحة الطغاة عن مواقعهم ، ليحلّوا محلّهم ، وهذا الادعاء لثيهرهم فيضربون بيدٍ من حديدٍ ، ويسحقون نخبة المجتمع دون هوادةٍ .

لقد تجاوب المسلمون في كل مكانٍ مع جبهة الإنقاذ الإسلامية ، وقد ظهرت فكرة محاربة الإسلام بشكلٍ جليٍّ إذ دُعرت أوروبا فهبتْ تُعلن استعدادها لاحتلال الجزائر ، واهتزت الدوائر الصليبية ، وعملت لدعم طغاة الجزائر ، كما تحرك الطغاة يُساند بعضهم بعضاً ، ويقدمون الأموال بسخاءٍ من قبل من يتوفر لديه المال .

ومع سقوط الشيوعية العالمية سقطت الشيوعية المحلية ، والشيوعية صنيعة الرأسمالية فانقسمت دولة يوغوسلافيا فقام الكروات بتأسيس دولةٍ خاصةٍ بهم ، واصطدموا مع الصرب ، فرغب المسلمون الذين يتجمع أكثرهم في البوسنة حتى ليزيد عددهم على النصف بتأسيس دولةٍ لهم فشجعتهم الولايات المتحدة على ذلك ليسهل ضربهم ، وليكون مجال لسحقهم ، وأعلنوا عن قيام دولتهم فاعترفت الولايات المتحدة بها ، فارتجت أوروبا ، وزلزلت الدوائر الصليبية ، وارتجف الجوار من صرب وكروات ، وكأن نيزكاً ضخماً سقط على الأرض . أعلن الجوار الحرب على البوسنة ، وبدأ الدعم النصراني يصل إلى

الصرب ، وإلى الكروات الذين اتفقوا بعد طول خلافٍ ، جمعهم العداء للإسلام ، أعلن النظام الدولي الجديد الذي يتحرك حسب تعليمات الدوائر الصليبية بحظر الأسلحة عن الأطراف المتنازعة وذلك خوفاً من وصول الأسلحة والرجال إلى البوسنة من الأمصار الإسلامية حسب تقديرات الدوائر الصليبية التي تعرف تعاطف المسلمين بعضهم مع بعض ، ونفذت الأمصار الإسلامية تعليمات وأوامر هيئة الأمم والنظام الدولي النصراني الجديد ، أما النصارى فلم يُنفذوا ، وكأن الموضوع لا يخصهم أو لم يُوجّه إليهم ، وبقيت الأسلحة تتدفق إلى الصرب خاصةً من روسيا، ورومانيا ، واليونان بشكلٍ خاصٍ ومن بقية الدول النصرانية الأخرى . وقام الصرب والكروات الذين يعيشون في البوسنة بالاعتداءات والجرائم ، وتدعمهم حكومتا الصرب ، وكرواتيا إضافةً إلى الدعم النصراني .

وبدأت المآسي تحلّ بالمسلمين في البوسنة ، والنكبات تنزل بهم ، مصيبة إثر أخرى ، برد الشتاء دون وسائل دفيءٍ ، وحرب من غير سلاحٍ ولا ذخيرةٍ ، وجوع دون موادٍ ، ومن غير أن تصل

إليهم المساعدات ، وفوق هذا تخلّ من الإخوان وقت الشدّة ،
وجفاء عند الحاجة ، بل يرون أمام أعينهم الدامعة وقلوبهم
المكسورة أرتال شبابهم تُساق إلى الذبح ، وأفواج فتياتهم تُقاد
إلى الاغتصاب ، وجميع أطفالهم الأيتام والمشردين تُحمل إلى
الدول النصرانية لتتصرّ بل ساهم اليهود في أخذ أعدادٍ من
هؤلاء الأطفال ، أما رعاية المسلمين فلم يُفكروا في أخذ هؤلاء
الأطفال لينشأوا على الإسلام ، وليبعدوهم عن أيدي رجال
الكنائس والإرساليات التنصيرية ، لم يفعلوا ذلك حيث لم تأتهم
الأوامر من السادة ، ولا يمكنهم تجاوزها ، وإن أبدوا أحياناً
شيئاً من الوقوف إلى جانب إخوانهم في البوسنة حرصاً على
مشاعر الشعب ، لقد ماتت أحاسيس الرعاية وبطائنهم ،
وتبلّدت مشاعر الإنسانية .

أما الشعوب الإسلامية فإنها بقلوبهم وعقولهم ومشاعرهم
وأحاسيسهم إلى جانب إخوانهم المسلمين في البوسنة ، ولكنهم
لم يستطيعوا فعل شيءٍ فالسيوف مسلطة على رؤوسهم ، والأذى
والضغط يلاحقهم ، والفقر والجهل يسحقهم .

وشعرت الدوائر الصليبية بأحاسيس المسلمين والتباين بينهم وبين رعاتهم لذا طلبت من أعوانها المسؤولين استمرارية الضغط على الفئات الإسلامية الواعية ، والعمل على سحقها ، والدعاية الدائمة ضدها ، ودعم وسائلها الإعلامية بذلك ، ليتخلى المسلمون بعضهم عن بعض .

د- العادات والتقاليد :

منذ أن اعتنق الناس الإسلام خضعت أعمالهم لأحكامه ، ودانت مجتمعاتهم لنظامه ، وكانت تصرفاتهم وفق منهجه فانبثق عن ذلك تشابه في العادات وانسجام في التقاليد ، وكان لهذا أثر واضح ، فالمرأة أنيطت بها الأعمال التي فُطرت لها ، وهي تربية النشء ، والانصراف إلى الأعمال المنزلية ، فخلدت إلى دارها تُربي الأولاد التربية الصالحة ، فتكون التربية عماد البلاد ، والمجتمع عماده الأخلاق ، فالمرأة لا تخرج إلا لحاجة ، وإذا خرجت فلباس الحشمة والوقار ، وإذا سارت فسير التعفف والإغضاء . وارتبط الرجل بالعمل الملائم لطبيعته خارج البيت لكسب القوت ، وإعمار البلاد ، والسعي لازدهار الأمة ورفقيها ،

وما أن ينتهي من عمله حتى يضطر أن يأوي إلى بيته ، ويركن إلى زوجه ليجد السكن والراحة ، وفي المنزل يشعر الزوجان بالعاطفة المتبادلة ، ويمحّو الأب على أبنائه ، ويمحّس الأطفال بعاطفة الآباء ، وتكون الأسرة السعيدة . ولا ترى في المدينة إلا من يسير لعمله ، ويتجه لغايته ، وبذا تكون المدينة الفاضلة التي ليس فيها من يقضي الساعات الطوال للتجوال ، وإشباع الغرائز بالنظر إلى تلك الفتيات اللاتي تُرى في كل مكانٍ متبرجاتٍ يمضين أوقاتهم دون عملٍ بعد أن اعتمدن على الخدم لتربية الجليل وإعداد المنزل .

وتهدأ المدينة الإسلامية في الليل بعد صلاة العشاء ، وتدب الحياة فيها من الفجر الباكر بعد الصلاة إذ ينصرف كل ذي عملٍ إلى عمله ، وأثناء عمل الموظف يكون منكباً على واجباته ، ليس بجانبه فتيات ينصرف إلى الحديث معهن ، وإشباع النظر منهن ، كما ليس هناك من مجال لديه لقراءة الصحف والمجلات ، ولا لتناول الشاي والمرطبات ، فالوقت وقت عملٍ ، والمرء مسؤول عن عمله وعن وقته في دنياه أمام رئيسه وأمام

المجتمع ، وفي أخره أمام الله ، عز وجل ، وبذا يكون المردود حسناً والإنتاج جيداً .

وتبني الأسرة المنزل الذي يتلاءم مع حياتها ، فالباحّة داخلية ، والنوافذ مُشرقة عليها فتتعرض للشمس والهواء ، ويكون المنزل صحياً ، ولا يسدّ جار الهواء والنور عن جاره . وتُحجب الأسرة داخل البيت في باحته ، ويمنع التلصص ، ونظرة الريبة ، ويُستر الجار عن جاره ، ويكتفي كل إنسان بما قسم له من حياة زوجية ، فلا يرى أجمل ، ولا أفضل ، ولا أحلى ممن في بيته حيث لا يرى غيرها ، ولا تتوق نفسه لسواها فتتلاءم الأسرة ، وتنسجم الحياة الزوجية . ويُحتم الإسلام على السكان عيادة المريض ، ومواساة المنكوب ، والزيارة بالأعياد والمناسبات ، وتفقد الفقراء ، ومساعدة المحتاجين ، وصلة الرحم ، واللقاء في المساجد . وبحث قضايا المسلمين على المنابر ، وبذلك يتكون المجتمع الفاضل ، وهناك اتفاق بالنظرة إلى رجال العلم ، ومفهوم الإنسان الصالح ، والعوامل التي ترفع من قيمته وقدره ، وكذلك بالنسبة إلى الأخلاق ومفهومها

وفلسفتها .

هذه الصفات الاجتماعية عامة بين المسلمين ، فحيثما ارتحلت في بلادهم وجدتها ، وعرفت أنك في بيئة واحدة ، وتشعر أنها ميزة لهم ، وأنهم أمة واحدة . وأحسّ المستعمرون النصارى بهذا فعملوا على تغييرها في سبيل تفتيت الأمة والقضاء على وحدتها ، فسعوا إلى خروج المرأة من مقرها الأصلي الذي خلقت له ، وتكليفها بأعمال ليست من طبيعتها تحت شعار زيادة الإنتاج والإفادة من الطاقات ، وأخذت تعود إلى بيتها متعبة متأففة من العمل فتجد رجلها كذلك قد رجع متدمراً من شغله فيبدأ النفور وليس لطرف أن يُخفف عن الطرف الآخر فكلاهما متعب ، وكلاهما قد وجد أثناء عمله الجنس الآخر بتصنّع وتجمّل ، وتبرّج وتحلّي حتى لم يعد يرى في منزله ما يشدّه إلى زوجه ، ولا يشعر الأبناء بحنان الآباء إذ هما في تعبٍ ، وحالةٍ من التوتر ، كما لا يحسّ الآباء بعاطفة البنوة ، فتفكك الأسرة ، ويسير كل في الاتجاه الذي يراه ، ويحدث ما وقع في البلدان النصرانية التي تدعي المدنية والحضارة .

وأخذت عادة السهر إلى ما بعد منتصف الليل على وسائل الإعلام التي تبقى تبث بتوجيه من الأعوان حسبما يريده السادة، فلا يصحو الناس على تأدية فريضة الفجر ، وهذا هدف من أهداف سدنة النصرانية ، ويذهب المرء إلى عمله ، ولم يكفه نومه، فيكون طيلة نهاره خاملاً ، يريد أن يتسلّى بها يجد ، ليقضي ساعات شغله ، حيث يصعب عليه العمل ، ويكون مردوده ضعيفاً ، وإنتاجه ضئيلاً ، وتكون عنده عقدة النقص ، عندما يُقارن ذلك بما ينتجه غيره ، ويرى هناك الحضارة والإنتاج ، وهنا التخلّف والخمول ، وهذا هدف أيضاً من أهداف سدنة النصرانية ، وأعداء الإسلام .

ومن أجل تفكك الأسرة المسلمة أصبح نظام الأبنية مشابهاً لمساكن الأسر ذي المناهج المادية ، حيث تُشرف المنازل بعضها على بعض ، ويرى أفراد هذه سكان تلك ، ويكون ما لا يحمد عقباه .

وقلّ ارتياد المساجد ، وتعارف المسلمين بعضهم على بعض ، وأصبح خطباء المساجد لا يتناولون ما يجب عليهم من

تعريف المصلين بأوضاع إخوانهم ومشكلاتهم ، جهلاً منهم ،
حيث يُختار نماذج معينة ، وتُبعد نماذج محددة عن القيام بهذه
المهمة ، وتوجيهاً من أولي الأمر الذين يُريدون السير بخط
معين.

وقلت واجبات عيادة المرضى ، وصلة الأرحام ، وتفقد
الحوار ، والسؤال عن أولي الحاجة ، وبذا ضعف ترابط المجتمع
الإسلامي ، وابتعد عن السمة التي تميزه عن غيره ، وأصبح يفقد
هويته تدريجياً .

وربما كانت الثقافة إحدى جوانب الحياة الاجتماعية ، حيث
يُدرّس في الأمصار الإسلامية جميعها بدء الدعوة الإسلامية ثم
انتشارها ، والفتوحات ، وقادة الجيوش ، وينظر إليهم نظرة
التقدير والإعجاب ، وعدّهم قدوةً صالحةً . كما تُدرّس الأمصار
الإسلامية في الجغرافيا . وتعلّم اللغة العربية ، وإن كانت تعد
ثانويةً في بعض الأمصار ، ولا بدّ لكل طالبٍ مسلمٍ من أن
يعرف شيئاً عنها ، لأنها لغة القرآن الكريم ، والحديث النبوي ،
وهما مصدرا التشريع ، كما أنها لغة العبادة . وتعدّ الكتابة قوية

بمقدار الاستشهاد فيها بآيات من كتاب الله ، وبالحديث النبوي ، وعبارات الحكمة ، والشعر العربي ، وكلاهما معروف في أكثر الأمصار . كما أن التربية الإسلامية واحدة في تدريسها لدى المسلمين جميعاً .

وعندما تسلط المستعمرون النصارى على ديار الإسلام عملوا على التركيز على التاريخ الجاهلي ، وتاريخ أوروبا الحديث - كما مر معنا - ، ووجهوا العناية على تدريس الدول الكبرى (أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية) ، وإبعاد اللغة العربية عن الأمصار غير العربية ، وتغيير الحرف العربي الذي كان شائعاً في كثير من الأمصار غير العربية ، واستعمال الحرف اللاتيني مكانه - كما ذكرنا - والعمل على إضعاف اللغة العربية بل إماتها في مواطنها . وبهذا أخذت تنفصم عرا الأخوة الإسلامية ، وتقوم مكانها أواصر واهية لا تنبع من العقيدة ، وإنما يركز عليها كنوع من العواطف .

الفصل الثالث الضياع الذاتي

لما كانت الدول النصرانية هي المتغلبة على الدول الإسلامية، وهي الأقوى عسكرياً، والمتفوقة علمياً، والمتطورة في البحوث التجريبية لذا استطاعت أن تؤثر بمخططاتها، وأن تُحقّق بعض أهدافها حيث أخذ المسلمون الذين في قلوبهم مرض يشعرون بالهزيمة النفسية أمام الدول النصرانية، ويحسّون بعقدة الصغار أمام أعدائهم كنوع من تأثير الغالب على المغلوب، لذا أخذ ضعفاء المسلمين يُحاكّون خصومهم لغةً، ويُقلّدونهم في منهج حياتهم، ويسيرون على خطاهم شبراً بشبر.

ولما كانت الدول النصرانية الكبرى هي المهيمنة على باقي دول العالم، وهي الموجهة للأمم الأخرى تحت أسماء متعددة تارةً باسم هيئة الأمم المتحدة، وأخرى باسم النظام الدولي، وثالثة تحت عنوان مجلس الأمن، والمجتمع الدولي، لذا فهي

تُنفَّذ مشروعاتها قهراً تحت هذه العناوين ، وغصباً للدول التي تحاول عدم الانصياع ، أو ترفض الخضوع لهذه الدول النصرانية الكبرى . وأخذت الدول الكبرى تضغط على من تريد من الدول بادعاءاتٍ ومُغالطاتٍ معينةٍ حتى تُجبر من تسوّل له نفسه على التمرد وعدم الخنوع . وتبعد مسؤولين عن السلطة ، وتُسَلِّم من تريد صولجان الحكم ، وبهذا خضع كل ضعيف ، وخنع كل صاحب مصلحةٍ ، وسار في فلك الدول الكبرى معلناً الطاعة ، والرضا عن هذا التيار والعمل على تحقيق مشروعات النصرانية ، وتنفيذ مخططاتها .

وأحسّ عقلاء المسلمين بما يجري على الساحة فازدادوا ألماً وحسرةً ، ولكن لا يستطيعون عمل شيءٍ إذ يُمارس عليهم الضغط من كل جهةٍ ، ويُشرع عليهم السيف كل حينٍ ، فأخذوا ينظرون وعيونهم تقطر دماً ، وهم يرون أمتهم تفقد هويتها ، وتضيع شخصيتها ومع هذا فالادعاءات كثيرة ، والتشدّقات لا تنقطع .

ولما أصبح للدول النصرانية الكبرى أعوان في ديار الإسلام،
وييدهم زمام الأمر ، وأخذوا على أنفسهم السير في فلك
أصحاب القوة ، وعلى نهجهم ، وقبول التوجيه ، وإذا أخلّوا
بشيء من هذا استبدلوا ، وقام بالأمر غيرهم .

ولما كان للأعوان بطائن ، ومصالحهم مرتبطة بعضها مع
بعض ، كما لأصحاب المنافع والشهوات والمترفين ، المصالح
نفسها لذا كان التعاون بينهم جميعاً ، والسير في الخط ذاته ، وهو
مخالف لخط سير الأمة المسلمة ، ومن هنا بدأت تفقد شخصيتها ،
وتنسى هويتها ، فأصحاب الأمر ، والتوجيه ، والمال ،
والقيادة ، والأهواء يسرون في خطٍ معاكسٍ لخط الأمة ، والرعية
لا تملك من الأمر شيئاً ، ويتأبها الجهل ، وتقع في الشكوك
والحيرة ، وتعيش بين المغالطات ، وتُقيم بين أصحاب المصالح
والمنتفعين ، وهذا ما ساعد على ضياع الأمة ، ومع ذلك فهناك
أمور ذاتية تساهم في ضياع الفرد ، ثم المجتمع ، وبالتالي الأمة ،
ومن هذه الأمور :

أ - النكبات :

لعل من أهم النكبات التي حلت بالمسلمين بعد سيطرة المستعمرين النصارى على ديارهم هي تجزئة بلادهم على أسس قومية مما سبب تنافراً بين شعوبها ، وخلافاً بين حكوماتها لا يكاد ينتهي . ولعل من المصائب التي نزلت بالمسلمين وضع بعض الشعوب الإسلامية تحت سيطرة شعوب أخرى مع سيادة العصبية القومية ، وهذا ما أدى إلى خلافات لا تنقطع ، وهذا ما خطط له الأعداء ، فحدثت عداوة بين شعبين مسلمين ، وبقيت على مدى الأيام ، والشعب الضعيف أو المستضعف لم ينظر إلى هذا الخلاف على أنه من صنع الغزاة النصارى الذين تغلبوا على المسلمين فلعبوا فيهم وبديارهم ، ولا على أن هذا العداء من نتائج العصبية القومية التتنة المتضاربة بعضها مع بعض بل نظروا إلى ذلك أنه ظلم شعب مسلم فحملوا الحقد والكراهية على أنه لجنسية معينة فبرزت شعوبية من جديد ، وأخذت مظهر الإسلام ، والإسلام بريء من هذا بل إن الشعب الغالب بريء من هذا فهو مغلوب على أمره ويتحكم به طغاة . ووقع في

هذا الشرك من كنا نتصور أنهم عقلاء ، وأنهم يحملون الفكر الإسلامي غير أنه طاش صوابهم ، وذهب فكرهم وساروا في طريق التيه ، ودرب الضياع إذ أضاعوا أنفسهم ، وأضاعوا بني قومهم الذين كانوا يظنون بهم خيراً ، ولكن أوردوهم سبيل التهلكة .

ولعل أبرز هذه النكبات ما حلّ بالشعب الكردي ، وإن كان مثلها كثير - مع الأسف - . منذ أن دخل الأكراد بالإسلام عاشوا جزءاً من المجتمع الإسلامي ، وتعلّموا اللغة العربية ، وإن بقوا يتحدثون فيما بينهم بلغتهم الخاصة التي بقيت لغةً سماعيةً غير مكتوبة ، واستمرّ ذلك على مدار التاريخ ، شعب من الشعوب الإسلامية يعيش ضمن مجتمع لا يحسّ بأيّ فارقٍ بعيدٍ عنه مادام يعتقد عقيدته ، ويُمارس عاداتٍ وتقاليد تنبع من تلك العقيدة ، فلما انتهت الحرب العالمية الأولى ، وألغيت الخلافة ، وتقطّعت أوصال الأمة ، وقامت دول هشة على أساس عصبيةٍ نتنّةٍ وجد الأكراد أنفسهم فيها أقليات مُوزّعة بين ثلاث دولٍ قوميةٍ ، وبدأ ضغط القوم الأكثرية على القوم

الأقلية، وبدأت المآسي تتوالى ، وُزّع الأكراد بين العرب في العراق ، والترك في تركيا ، والفرس في إيران وزادت النوازل ، وخاصةً عندما سلّط الله بعض الطغاة على سكان بعض هذه الدول فنال الأكراد جور ، وظلم ، وجرائم تقشعر لها الأبدان ، وكان على الملتزمين من الأكراد ، الواعين لدينهم أن يدعوا إلى تحكيم الإسلام ، فهو المؤاخي بين أبنائه ، والعدل في أحكامه لكن بعضهم قد طاش صوابه — وكنا نظن بهم خيراً — وبدلاً من الدعوة إلى الحق أخذوا يدعون بدعوى الجاهلية ، وقد أصابتهُم اللسة منها فصارت القومية عندهم فكراً ، فتخلّوا عن اللغة العربية في بيوتهم ، وعن الحرف العربي في كتابتهم ، وعدّوا التعريب طعنة في الإسلام ، وافتخروا برجال من أهل الباطل ، والظلم ، والجاهلية لمجرد سكنائهم في منطقة الجبال إذ عدّوهم من قومهم أمثال بختنصر ، وأبي مسلم الخراساني ، ووصل الأمر ببعضهم إلى أن أخذ يعمل إلى إقامة دولة كفرٍ في مناطق قومه ، فآلمهم الانتماء إلى ذلك القوم ، ورأوا أن تكون عبادة كل قوم بلغته ، وهكذا طعنات بالإسلام من غير علمٍ ، وهجوم عليه عن

جهلٍ رغم أنهم يدرسون تفسير كتاب الله بجامعةٍ إسلاميةٍ ،
وهكذا أضلّتهم العصبية القومية وكانوا بالأمس من أعدائها ،
وأضلّوا قومهم وما دروا ، ويظنون بعد ذلك أنهم يُحسنون
صنعاً ، وبذا زادوا في ضياع الأمة ، وعملوا على فقدان
شخصيتهم وشخصياتها على حين يجب أن يكونوا من أبنائها
الصالحين الذين يبنون ولا يهدمون ، ولكن العصبية تُعمي عن
الهدى ، وتُصمّ عن سماع كلمات الحق .

ب - التزلف :

اعتاد الطغاة أن يختاروا رجالاً يتكثون عليهم في تسيير
شؤون سلطانهم ، ويُزيّنون للناس أفعالهم ، ويُضفون عليهم
حسن السمعة بما يشنون ، وما يُدبّجون من مقالات الإطراء
والمديح ، ويحصلون مقابل ذلك على مناصب ومنافع ، وكما
ينالون المغانم فلا بدّ أن يتحملوا المغارم إن حدث ما يكرهون .
لذا كان الاختيار يقع على أصحاب المكانة مثل هامان ، أو
الأثرياء أمثال قارون . وربما وجدت نماذج تبقى خلف الستار
إذ لها مهماتها التي لا تسمح لها بالظهور لحسّتها . وكان الطغاة

على مدار التاريخ يركّزون على الكهنة ، أو ضعاف النفوس من رجال الدين أو مشايخ السوء ليُعطوا للطاغية صفة الشرعية ، ولأعماله وتصرفاته جانب الحق ، ليقبل الناس منهم ذلك مادامت تلك الأعمال لا تُخالف عقيدة الشعب .

وجرت العادة أن يُلوّح الطغاة لمن يقع عليهم الاختيار ببعض الإغراءات من منصبٍ ، أو مالٍ ، أو شهوةٍ كل حسب مكانته ، أو إمكانياته ، أو حسب الدور الذي يجب أن يؤديه ، ويرفض الاتقياء هذا أصلاً ويأبونه ، بل يعدّون الإقدام عليه خيانةً ، وربما يتمنّع بعضهم ليحصل على امتيازاتٍ أفضل ، أو إغراءات أكثر . وقد يهرول بعضهم نحو الهدف مجرد أن يُلوّح له به ، وذلك حسب نفسيته ، وحسب إيمانه ، وبما يظهر به أمام الناس . وربما يُسرّع أحدهم فيكشف عن مساوئه كلها دفعةً واحدةً ، فيتخلّى عن كل مكرمةٍ كان يدّعيها ، وعن المبدأ الذي كان يدعو له ، ويُكثر من التزلّف حتى يظنّ نفسه صادقاً ، ومن النفاق حتى يحسب أن ما يفعله صحيحاً . يجعل من رؤوس الكفر وزعماء الفرق الضالة أئمة هدى . ويرى في دعاة الحق

خارج يُقام عليهم حدّ الحراة ماداموا يُحالفون إمام الهدى في نظره . وتعمى عيناه عن المظالم فلا يرى إلا المبررات الفارغة لها ، وتصمّ أذناه عن كل ما يجري من مفاصد تضحّج بها الدنيا ، ويراهنا ضئيلة لا تستحق الوقوف عندها ، ويعتقد أن المحاسن تُغطيها وتذهبها .

ويعتقد أن دعاة الحق يجب ألا يُطالبوا بالحكم ليحكموا بما أنزل الله ، فإن الحكم يجب أن يكون مقصوراً على الطغاة ، محصوراً بالظالمين إذ سبق أن وُسد لهم الأمر . والصالح يجب أن يبقى بعيداً ، وتقتصر الدعوة على الضعفاء ، وعلى أمور العبادات ، والابتعاد كل الابتعاد عن التفكير بتطبيق شرع الله ، والحكم بما أنزل . ويجد مبرراً لكل طاغية في عدم تطبيقه الشريعة ، وأخيراً يتكلم - مع الأسف - عن الجهاد وكيفية ممارسته ، ويورد المغالطات والأضاليل . ويرى كل شيء مخالفاً للواقع مادامت له كلمة تسمع - حسبما يرى - ، وحديث يُذاع ، ولقاء مع زبانية .

وربما تحدث بين المتزلفين مسابقات لاحتلال المكان الأول فتكون المزاودات في كلمات النفاق ، والمديح المبالغ فيه فتعطى صفات الصديق والفاروق للطغاة، والموالين للنصارى واليهود .

إن هذا وأمثاله ليضلّون الناس فتقع الأمة في تيه ، ومع الزمن تفقد هويتها ، وتضيع شخصيتها ، مادام من يظنّ بهم العلم يُنافقون للطغاة ، ويتكلّمون بالمغالطات . ويحسبون أنهم على شيء وما هم - والله - بشيء ، فإذا انتهى دورهم واستهلكوا ألقوا على الدمن ، ولكن بعد أن ضلّوا ، وأضلّوا ، وسعوا في إضاعة العامة ، والكذب على الرعية .

الجهالة :

يوجد بعض الأفراد يريدون الرفعة ، وهم ليسوا أهلاً لها ، فيفتشون على طريقة للظهور ، ولو لم تكن مشروعة ، وتلتوي بهم الطرق ، ويترنحون في السبل يبحثون عن وسيلة ، ويقودهم أحياناً فكرهم غير السوي إلى زقاقٍ مظلمٍ مسدودٍ يُقادوا من هناك إلى المكان المعدّ لهم من قبل الأعداء ، أو ليكونوا مطيةً يُنفذ الخصوم مخططاتهم عن طريقهم ، وهم لا يدرون ،

لجهالتهم ، والجهالة هي ضيق في ساحة الرؤية ، وصغر في العقل ، وسطحية في الفكر .

قد يجد صاحب الجهالة زلّة لعالم ، أو هفوةً لمفكر ، أو هكذا يظنّ حيث لم يستطع إدراك ما كتبه ذلك العالم ، أو خطّة ذاك المفكر ، وعلى كلّ فليس هناك إنسان معصوم بعد أنبياء الله ورسله ، فيعدّ صاحب الجهالة تلك الزلّة كنزاً عظيماً يستغلّه ، وربما يكون قد وُجّه إليه ، ويعتقد أن انتقاده سيرفعه ، إلى مستوى ذلك العالم فيكتب ، ويهاجم ، ويتجنّى ، ويُمهد له الأعداء الدرب ، ويتبنّون ما كتب ، ويؤزّعون ، ويرفعون من شأنه لينالوا ما ييغون ، ويكون قد سقط في الفخ إذ ضلّ ، وأضلّ . لقد أضلّ نفسه ، وأضلّ من تبعه ، وخدم أعداء الأمة بما سبّب من ضياع . وربما سعى الأعداء عن طريق غيره ليُدافعوا عن هاجم ، ويردّوا على ما دوّن ليقع الشقاق بين أبناء الأمة ، ولتذهب ريح المسلمين .

لقد خالف كثيرون ابن تيمية ، وهاجموه في حياته ، وبعد مماته ، ولكنهم خسروا ، وضاع جهدهم وفكرهم ، وبقي

ابن تيمية - رحمه الله - إماماً علماً . وتصدّى كثيرون للهجوم على سيد قطب في حياته وبعد مماته في سبيل شهرتهم ، ولكنهم باءوا بالخسران ، وكانوا مطيةً للخصم ، وزال فكرهم وظلّوا أقزاماً ، وبقي سيد قطب - رحمه الله - عملاقاً . ويسوّي أعوان الدول النصرانية الطريق لهؤلاء الذين يريدون الشهرة ليكتبوا ، ويخطّوا ، وليفرّقوا الأمة ، وليوقّعوا الصراع بين الملتزمين ، بين مؤيّد ومخالف .

الفوضى :

يُغري بعض الناس المنصب فيحسبون أنهم قد ارتفعوا ، وتُبَطّر النعمة آخريّن فيحسبون أن مكانتهم قد علت ، ويُطمع ضعف النظام أناساً فيرغبون أن يرعوا سائمين لا يُبالون بسواهم ، وما أكثر حوادث هؤلاء في المجتمع ، غير أننا نقتصر على نقطة واحدة هي نظام المرور ، فيظنّ أصحاب المناصب أن تعليمات المرور لا تطالهم ، ويُبدي أصحاب النعمة عدم اهتمام إذ يستطيعون شراء السيارة في كل حين ، ثم تبديلها كل وقت ، ويُظهر الشطّار مهارةً في المخالقات ظناً منهم أن المرور في غفلةٍ

عنهم ، أو أنهم يستطيعون التحايل في المخالفات ، وإن الذي لا يوجد لديه رادع من نفسه لابدّ من له من نظام رادع .

وهكذا تكثر التجاوزات ، وتذهب الضحايا ، ويضطر رجال المرور أن يغضّوا النظر ، فتزيد المخالفات ، ويرى الإنسان الغريب في الشعب تحلّفاً ، وربما عزا السبب إلى المفاهيم والمبادئ ، وينظر أفراد الشعب نفسه إلى مجتمعهم نظرة الازدراء عندما يقارنونه مع المجتمعات الأخرى التي يسود فيها النظام ، فتتولّد لديهم عقدة النقص ، ومع زيادة الفوضى ، والشعور بالنقص ، تحسّ الأمة بالضياع ، وتبدأ شخصيتها بالضعف .

الإشغال واللهو :

في الوقت الذي تنصبّ فيه النكبات على المسلمين في مختلف أمصارهم ومواطنهم انصباباً ، وتتوالى عليهم تبعاً ، حتى يضحّج بها العالم ، ويعرف أخبارها القاصي والداني إلا المسلمين فلا يسمعون إلا أطرافاً من الأخبار عنها ، ولا يعرفون

من تفاصيلها شيئاً ، ذلك أنه يُخطط لهم هذا كي لا تُثار العاطفة الإسلامية ولا تتحرك حمية العقيدة ، ويُنادى إلى الجهاد ، وعندها تكون الطامة بالنسبة إلى الدول الصليبية التي تُعادي الإسلام صراحةً ، وتعمل على دفن الروح المعنوية لدى أهله كي تتمكن منهم ، وتستطيع تنفيذ مخططاتها بهم وبديارهم ، لذا فهي تعمل على إشغالهم بتوافه الأمور ، وتُحرك من يعمل على إشغالهم .

في الوقت الذي تنزل المصائب على المسلمين في بعض المناطق تسمع في الأمصار الاحتفالات ، والاستقبالات ، وحفلات السمر ، والأيام الوطنية ، والمناسبات ، والمباريات ، والمسابقات ، والصياح ، والتهافتات فيها ، وتصدح الأغاني من وسائل الإعلام ، والصور الخليعة في المجلات و... وكأننا لم نسمع ما يصيب إخواننا المسلمين ، ولا ندري ماذا يجري ، الواقع أنه يُراد لنا ألا نسمع ، ويُطلب منا ألا نحس ، لذا يحدث هذا ، ويقع هذا ، فهو مخطط مرسوم ، وعمل مقصود . إنه لم يحدث عرس ومأتم في بيتٍ واحدٍ على مدار التاريخ . إنه لا

يصح أبداً أن تكون المآسي ، والأحزان عند إخواننا وعندنا الأفراح والاحتفالات .

إن الأعداء يعرفون الروابط التي تربط المسلمين بعضهم إلى بعض ، ويعلمون نتائج رفع راية الجهاد لذا فهم حريصون على إشغالنا ، ويكثفون أعوانهم لصرفنا عن أهدافنا باللعب والمباريات ، واللهو والاحتفالات حتى تضع الأمة فلا تدري أتمّز بمرحلة أفراح أم تحلّ بها المصائب والأحزان . فالمسلمون في لهوهم ، وفي غفلةٍ سادرون ، والضربات تتوالى على إخوانهم من مذابح ، وإبادةٍ ، ووحشيةٍ ، واغتصاب . ويشعر المسلمون الملتزمون والذين على درجة من الوعي بالأسى والألم على هذا الضياع نتيجة الإشغال بتوافه الأمور ، واللهو بالسفاسف ، وترك بقية الأمة تُعاني الآلام ، والناس في غفلةٍ لا يدرون .

الغفلة والتبعية :

لقد أصاب الذلّ الشعوب الإسلامية نتيجة الضغط والضربات المتوالية من الداخل ومن الخارج ، وأصابها أيضاً

الفقر ، وحيّمْ عليها الجهل وخاصةً بقضايا المسلمين والأمر
العامة بسبب التعتيم عليها ، وإهمالها ، وعدم الالتفات إليها ،
وعاش المجتمع في غفلةٍ ، ومن بقي على نباهةٍ ووعيٍ سُحق .

لقد انصرف الناس إلى تأمين شؤون حياتهم ، والقوي منهم
الذي يستطيع تأمينها ، فهم يلهثون وراءها لا يدرون على شيء ،
وكانت حياتهم في غفلةٍ وشغل الشعب بما وُجّه إليه من اللهو
والفساد فعاش في غفلةٍ ، لا يصحو ولا يُفكّر . وشغل العلماء
بالرد على الأسئلة ، والمناقشات ، وتبرير أعمال ، والبرقيات ،
وربما بعضهم بالسعي للظهور والمنافسة على المراكز ، وتركوا كل
ما عدا ذلك حتى غدوا في المرحلة الأخيرة لا يعرفون ما يحيط
بهم ، ولا ما يُخطّط لهم ، ومع ذلك يدّعون الاجتهاد ، وتقديم
الآراء الاجتهادية التي يرضى عنها كل مسؤول ، وعاشوا في
غفلةٍ . وكذا يفعل الإهمال في دوائر الدولة والمؤسسات إذ يُولد
عقد النقص والشعور بالتخلف .

ونتيجة الحاجة عند الكثيرين ، والرغبة بالوصول عند
بعضهم يكثر التزلف ، ويُغفل عن كل أمرٍ سواه ، ولا يكون

الحديث إلا عن التصرف ، والتحايل ، وأسلوب التقرب .

كما أن المناهج تلعب دوراً كبيراً في هذا الموضوع إذ تُهمَل قضايا المسلمين ، وأوضاعهم ، وواجب دعمهم ، والوسائل الواجبة على المسلمين ، وموضوع الأمة ، وعوامل الارتباط ، وتعاليم الإسلام الصحيحة .

وهذه كلها عوامل دعت إلى ضياع الهوية الإسلامية ، وتفتيت الأمة ، وساعدت على نجاح مخططات الأعداء ، وهذه العوامل هي من الأمة نفسها قبل أن تكون من قبل خصومها . فالنفسية التي تستعلي بإيمانها ترفض مثل هذه المفاهيم ، وتأبى أن تكون إمعةً تسير مع القطيع بل تكون أداة بناء وإصلاح . وفي الأمة خير كثير - إن شاء الله - غير أن الضياع والته قد سداً نوافذ التفكير عند كثيرين فأصبحوا يتبعون كل مُدَّع ، وبرز المدَّعون ، وأخذ أول الفراعنة الجدد يدَّعي أنه سيعمل بإمكاناته كلها على استعادة القدس وما حولها من الأرض المباركة ، فخدع الناس ، وساروا وراءه ، وأظهر خلافه لليهود والدول الكبرى المؤيدة لهم ، وفي الوقت نفسه أعلنت الدول مخالفتها

والهجوم عليه من باب الدعاية له ، فارتفعت أسهمه ، وصدق
الرعاع ذلك ، وتبعوه . وزاد طغيانه ، ثم انكشف القناع ، وظهر
أنه من غير أبناء الأمة ، ثم أوكل القضية إلى رجلٍ مثله في
العقيدة ، فأنتهى الموضوع لمصلحة إخوانه المعتدين . وهذا ما
أوقع الكثيرين في الحيرة ، وكيف يعرفون الصدق من الادعاء ؟ .

الخاتمة

في هذه الأيام التي يسعى فيها الأعداء لإضاعة الشخصية المسلمة ، وإفقادها هويتها ، وإماتة الأمة ، ويتخذون من أعوانهم مطيةً لتحقيق ذلك ، ومن المتفرنجين الذين قبلوا الحياة على المنهج الصليبي أداةً لتنفيذ مخططاتهم ، وتتداعى علينا أمم الأرض ، كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، في هذا الوقت ذاته على المسلم المخلص الصادق ، الذي يعيش قضية أمته أن يُؤدّي دوره ، وأن يقوم بما يأتي :

- ١ - العمل على تثبيت العقيدة لدى الإخوة والأصدقاء .
- ٢ - قراءة السيرة والعهد الراشدي قراءة واعية ومحاولة الاستفادة من الدروس والعبر .
- ٣ - الاطلاع على ما يجري على الساحة الدولية ، وما يوضع من مخططات ومشروعاتٍ لمحاربة الإسلام والمسلمين ، ومحاولة فهم الأحداث العالمية ، وتفسيرها تفسيراً واقعياً .

٤ - محاولة الاهتمام باللغة العربية ، والحديث بها ، وعدم استعمال الكلمات الأجنبية التي أصبحت تشيع في المجتمع ، والتي غدا كثير من الناس يستعملها .

٥ - عدم محاكاة العمال والمستخدمين في لكتهم الأعجمية ، والعمل على تعليمهم ، وذلك أفضل من محاكاتهم .

٦ - عدم الكتابة على اللافتات والأوراق الرسمية باللغة الأجنبية ، والاكتفاء باللغة العربية فقط .

٧ - نصح الآخرين للتقيّد بما ذكرنا سابقاً ، وتبيان خطر الفرنجة على اللغة وعلى الأمة .

٨ - العمل على توعية من يلتقي بهم من المسلمين وبيان ما يحذرهم من أخطار .

٩ - مفاصلة المتفرنجين شعورياً مع بقاء الصلة معهم لنصحهم ، ودعوتهم ، والعمل على هدايتهم .

١٠ - العمل على أن يكون أسوة في الأدب ، والأخلاق ،

والعلم ، والهدوء ، والمعاملة وحسن الصلة مع أفراد المجتمع جميعاً.

١١ - الابتعاد عن الجشع ، وعن البخل ، والفُجْر في الخصومة ، وكل ما يسقط العدالة أو يُسيء إلى السمعة .

١٢ - التقيد بالنظام ومحاولة عدم ارتكاب أي مخالفة .

١٣ - الإعداد النفسي والاستعداد المادي لمقاومة مخططات الأعداء ، والعمل على النهضة بالأمة .

وإذا تقيّد المسلم بهذا كان محطّ أنظار الآخرين ، وموضع ثقتهم ومحبتهم ، ويعملون على تقليده والإفادة منه ، ويكون التوجّه نحو الصلاح ، ولقد انتشر الإسلام في مواطن كثيرة وخاصةً في جنوب شرقي آسيا بالتأثر بأخلاق التجار المسلمين ، وحسن معاملتهم .

الفهرس

٥٧	ب - التاريخ	٣	مقدمة
٦٥	ج - الآمال والآلام	١١	توطئة
٧٦	د - العادات والتقاليد		المحاولة الأولى لتحطيم
	الفصل الثالث:	١٣	المسلمين
٨٣	الضياع الذاتي		الفصل الأول:
٨٦	أ - النكبات	١٩	هوية الأمة الإسلامية
٨٩	ب - التزلف	١٩	الاسم واللقب
٩٢	ج - الجهالة	٢٢	تاريخ ولادة
٩٤	د - الفوضى	٢٨	الموطن
٩٥	هـ - الإشغال واللهو		الفصل الثاني:
٩٧	و - الغفلة والتبعية	٣١	العلامات المميزة
١٠١	الخاتمة	٣١	أ - اللغة العربية
١٠٤	الفهرس		